السنة الرابعة العدد ١٥ ١ آب سنة ١٩٠١

المشرق

سرّ الافخارستيّة في العاديّات المسيحية

بقلم الاب الفاضل القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

قد بلغ فنّ العاديّات المسيحيّة في الجيل التاسع عشر مبلغًا يقضي بالعجب. فمن زار اليوم الداميس الرومانيّة والمتاحف الفاتيكانيّة واللاترانيّة وغيرها لا يتالك من الاندهاش لدى رؤيته التصاوير والنقوش والكتابات العديدة المتنوّعة المنبعثة من عالم النسيان لتشهد على اعتقاد وعوائد واحوال المسيحيين في اجيال الكنيسة الاولى وذلك بانواع مختلفة فتارةً بتصاوير واضحة وطورًا بكتابات فصيحة واخرى برموز في غاية من الحكمة والدقّة تحرّى بها اصحابها بنيان المؤمنين الذين كانوا يفهمون اصطلاحها دون ان تبتذل تلك الجواهر الثمينة في اعين الغرباء عن الايمان الذين لم يروا فيها امرًا ذا بال. وغاية ما يُستفاد من هذه الآثار الجليلة هي المطابقة التامّة بين ما كان يعتقدهُ اولئك المسيحيون الاولون وما تعتقدهُ اليوم الكنيسة الكاثوليكيّة بحيث يستطيع كلٌّ ان يتحقق بانها هي الوارثة الشرعيّة للكنيسة الاولى المؤسسة من الرسل وفي الوقت عينهِ يقف على إفكِ وافتراء من نسب اليها اختراع العقائد التي تعلّمها. وقد رأينا اليوم ان نأتي قراء المشرق بنموذج من هذا الفنّ الشريف وقد وقع انتخابنا على عقيدة الافخارستيّة وها نحن نوضح بهذه العجالة اتفاق الاولين في الايمان بالحضور الحقيقيّ الظاهر من تلك الآثار مع ما يعتقدهُ اليوم الكاثوليك في هذا الصدد

١ هلمّ بنا اذن ايها القارئ ننزل الى مقبرة القديس كَلِستوس من اشهر الداميس الرومانيّة واقدمها. فاذا ما صرت الى حُجَر لوتينا فاعلم انك في الجيل الاول للنصرانيّة

وفي عهد الرسل ولا عجب ان تأخذك رجفة الاحترام تجاه هذه القدميَّة المهيبة كما اخذتنا نحن يوم اتاح لنا الحظ ان تزور هذه الاماكن المصبوغة بدماء الوف من الشهداء

واوَّل ما تجد صورةٌ غير مألوفة تشخّص سمكة تسبح بالماء . وعلى ظهرها قفّة من الخبز المستعمل حينئذٍ بالقداس وقدح يشفّ منهُ لون الخمر . فلعمري هل من رمز اوضح وهل من برهان اقوى . فانَّهُ لا بدَّ لك ان تعلم ان رمز السمكة لهُ شأن خطير في العاديات المسيحيَّة فترى اولئك المسيحيين يتغزَّلون بهِ بانواع مختلفة ولم يدعوا اثاثاً الَّا ورسموهُ عليهِ وربَّما اتخذوهُ حرساً لهم فعلَّقوهُ في اعناقهم وما ذلك الَّا لان السمكة كانت عندهم كنايةً عن المسيح نفسهِ فان اسمها في اليونانيَّة (ἰχθύς) يتكوَّن من خمسة احرف كل منها هو رأس احدى هذه الكلمات الخمس في تلك اللغة اعني : يسوع (Ἰησοῦς) المسيح (Χριστός) ابن الله (Θεοῦ υἱός) . المخلّص (Σωτήρ) فكلَّما ارادوا ان يذكروا او يعبّروا عن شخص المسيح ولاهوتهِ صوَّروا السمكة لتقوم مقامهُ قال اقليميس الاسكندري واوريجانس : ان المسيح يُدعى السمكة على سبيل الاستعارة (شرح متى خطبة ١٣) . وان كان السمك اكثر من الواحدة فيشير الى المؤمنين المصطادين في مياه هذا العالم بشبكة الرسل والمولودين الولادة الجديدة في مياه المعمودية والمتغذين بلحم ودم السمكة الكبيرة الذي هو المسيح . فهل من رمز والحالة هذه احكم واوفق لبيان الاعتقاد بحضور المسيح بالذات تحت شكلي الخبز والخمر حضوراً حقيقيًّا من ان توضع سمكة حيَّة تحت الخبز والخمر

على ان هذا الرمز لم يكن معروفاً ومستعملاً في مدينة رومة فقط فان القديس أبرقيوس اسقف ايروبوليس في فريجيا في الجيل الثاني بعد ان ساح في بلاد سوريَّة وبين النهرين وزار رومة عاصمة الدين المسيحي كتب على الضريح الذي اعدَّهُ لنفسهِ (١ ما تعريب بعضهِ بالحرف : « في كلِّ مكان وجدتُ (في اسفاري) رفاقاً اذ كان معي بولس فكنتُ اتبعهُ والايمان الذي كان يهديني حيثما ذهبت كان يهيِّئ لطعامي في كل مكان سمكة من العين عظيمة طاهرة أمسكتها عذراء عفيفة وهي توزعها على

---

١) وقد اكتشف على هذا الأثر الفريد سنة ١٨٨٣ احد علماء البروتستان العلَّامة وليم رمساي (Ramsay) واهداهُ جلالة سلطاننا الافخم عبد الحميد للبابا لاون الثالث عشر في مناسبة يوبيلهِ الخمسيني وهو محفوظ في المتحف الواتيكاني

الدوام ليأكل الاحباب. ولها خمر نفيس تعطيه ممزوجاً بالماء مع الخبز . . . من يفهم ذلك ويوافقني فليصلِّ على أبرقيوس (١

وجاء في كتابة اخرى وُجدت في مدينة اوتون (Autun) في فرنسة معاصرة لكتابة ابرقيوس في القدمية تحريض للمؤمنين « بان يتناولوا الطعام الحلو المعطى من مخلّص القديسين وان يأكلوا بشهوة السمكة التي توضع على ايديهم »(٢. طبقاً لعادة الكنيسة القديمة حيث كانت الجوهرة الالهية توضع على يد المؤمنين في تناولهم القربان الاقدس وهم كانوا يلثمونها

٢ هيّا بنا الآن الى مغاور مقبرة القديسة دومتيلا المعاصرة هي ايضاً لزمان الرسل فهناك نشاهد سطلاً من الحليب مصوراً تارةً عن يمين الراعي الصالح وطوراً على ظهر حمَل او فوق مائدة صغيرة مشخّصة المذبح وبقرب السطل ترى خرافاً مع عصا الرعاية وربّما تجد السطل محاطاً بغمام دليلاً على كونهِ شيئاً سماويّاً. والحليب كما لا يخفى كان في اصطلاح اولئك المسيحيين رمزاً عن الافخارستيّة بما انها تحوي المسيح بالذات ونستدلّ على ذلك من الاباء الذين هم الترجمان الشرعي لمثل هذه الرموز . فاقليميس الاسكندري يفهم بالحليب الطفل الجميل الالهي اي جسد المسيح الموزَّع على المؤمنين. وقال زينون اسقف فيرونا: انّ ذاك الحمل الصغير الذي بصوفهِ النقي ستر عرآكم هو الآن يقدّم لشفتيكم حليبهُ الميمون بوداعة فائقة. وصفرونيوس بطريرك اورشليم يقصّ على القديس تادوروس بانهُ اذ كان يوماً قد خُطف عن حواسهِ رأى الشهيدين شفيعيهِ يقدمان لهُ الخبز الحي

---

١) قد حاول كثيرون من اشهر المتقدمين بين البروتستانت البرمانيين ان يوهنوا قوّة البرهان الساطع من هذا الاثر الخطير على حقائق جمّة تتمسّك بها الكنيسة الكاثوليكية وينسبوه الى لهجة غير مسيحية فرجموا بحثيّ حنين ولم تزل هذه الكتابة الثمينة سلطانة الكتابات المسيحية كما هو مكتوب تحتها في المتحف الواتيكاني

πάντη δ' ἔσχον συνό[μιλους]
Παῦλον ἔχων ἐπό[μην], πίστις πάντη δὲ προῆγε
Καὶ παρέθηκε τροφὴν πάντη ἰχθὺν ἀπὸ πηγῆς
Πανμεγέθη, καθαρόν, ὃν ἐδράξατο παρθένος ἁγνὴ
Καὶ τοῦτον ἐπέδωκε φίλοις ἔσθειν διὰ παντός,
Οἶνον χρηστὸν ἔχουσα, κέρασμα διδοῦσα μετ' ἄρτου...

٢) وهذا نصّ بعضها: Σωτῆρος ἁγίων μελιηδέα λάμβανε β[ρῶσιν]
Ἔσθιε πινάων, ἰχθὺν ἔχων παλάμαις.

وكأس المائدة المقدَّسة مملوءة حليباً الخ . ومما نقرأ في قصة القديسة خالدة (Perpétue) شهيدة كنيسة افريقية التي كتبتها بيدها انها رأت الفردوس في رؤية عرضت لها بشكل بستان حيث الراعي الصالح قدّم لها حليباً سماوياً

ولا غروَ فانهُ لما كان الحليب الطعام الذي تتغذى بهِ الام طفلها فهو يمثّل جيداً ذاك الطعام السماوي الذي اراد المسيح ان يغذي بهِ نفوسنا لاسيّما وان الحليب عبارة عن دمهِ الزكيّ . قال مكاريوس المغنازي : لكي تعلم ان هذا (اي آكل جسد المسيح) ليس بامر غريب او مخوف فعليك ان تعتبر الطفل الصغير كيف انهُ لا يعيش ما لم يأكل لحم ودم امهِ وما طبيعة الحليب الّا دم حقًّا

٣ وكثيراً ما كان المسيحيون الاولون يعبّرون عن ايمانهم بالحضور الحقيقيّ برمز اعجوبة تكثير الخبز اذ يرون بين الامرين علاقة شديدة كما يعلمنا الآباء . بل اشار المسيح نفسهُ الى ذلك في خطابهِ في كفرناحوم (يوحنا ف ٦) عن الافخارستية وهو يذكّر اليهود بتلك الاعجوبة . وبين ظروف تكثير الخبز ورسم الافخارستيّة مشابهة جديرة بالاعتبار فان المسيح في كلا الحادثين رفع عينيهِ الى السماء وبارك واعطى رسلهُ الخبز والسمك ليوزعوهُ على الجموع كما اعطاهم جسدهُ ودمهُ تحت شكلي الخبز والخمر موصياً اياهم ان يداوموا هذا العمل حتى مجيئهِ الثاني كما يقول بولس . ففي هذه المشابهة برهان واضح على ايمانهم بالحضور الحقيقي والّا فاي اعجوبة تكون قد تمّت في رسم الافخارستية حتى يمكننا ان تقابل باعجوبة تكثير الخبز ان لم يُفترَض ان المسيح حوَّل الخبز والخمر الى عين جسدهِ ودمهِ كما يعتقد الكاثوليك

فبناء على ذلك من زار كنيسة القديس تروفيموس في مدينة ارل (Arles) في فرنسة يجد ناووساً من الجيل الرابع فيهِ صورة المخلص يصنع اعجوبة تكثير الخبز وامامهُ مذبح وفوق المذبح السمكة الرمزيّة التي معناها حضور المسيح في الافخارستية كما سبق القول — وفي مدينة مودينة من اعمال ايطالية اكتُشف على حجر يرتقي الى الجيل الثالث منقوش عليهِ سبع خبزات وسمكتان اشارة الى تلك الاعجوبة ثم سمكتان في افواههما خبز اشارة الى الافخارستيّة الموزّعة للمؤمنين

وفي ناووس لاحد المسيحيين وُجد في اسكندرية مصر تُشاهد صورة المخلص بين الرسولين بطرس واندراوس وهما يقدّمان لهُ ارغفةً من الخبز وسمكتين وعند ارجل المسيح صورة

اثنتي عشر قفّة من الخبز وفي احدى جهتي هذه الصورة ترى اشخاصاً جالسين على مائدة كُتب عليها باليونانية: « المؤمنون يأكلون اولوجية المسيح » ومعنى الاولوجية بركة وهي كناية عن الافخارستيّة في اصطلاح الكنيسة الاسكندريّة. وفي الجهة الاخرى تُشاهد اعجوبة تحويل الماء الى خمر في عرس قانا الجليل وهي ايضاً اشارة الى هذا السرّ. وكثيراً ما نعثر عليها في الداماس الرومانيّة ايضاً مقرونةً باعجوبة تكثير الخبز لكمال تشخيص الخبز والخمر المتحوّلين في الافخارستيّة الى جسد ودم المسيح باعجوبة باهرة. ففي مقبرة كلستوس نجد عند قوائم المذبح السمكة واجاجين الخمر المذكورة في عرس قانا الجليل ومعها قفف الخبز السبع

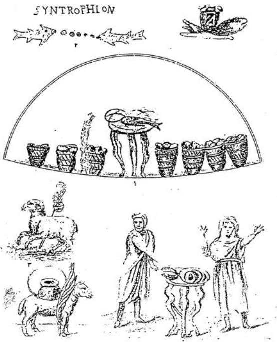
٤ ومما يُرى في مقبرة كلستوس المذكورة على جدار احدى الحُجَر صورة موسى الكليم يحل سيور حذائه اذ يأتيهُ الامر بذلك من يد خارجة من الغمام تشخّص حضور الله. وبجانب موسى صخرة يتدفّق منها الماء يضربها شخص بالعصا الّا ان هذا الشخص ليس هو موسى مشترع بني اسرائيل اذ يختلف عن الصورة الاولى اختلافاً كلّياً بالهيئة والثياب بل هو بطرس رئيس العهد الجديد كما يُستدلّ من المقابلة بصور اخرى لهذا القديس في تلك الآثار. ولا حاجة ان نذكر بان الصخرة هنا تقوم مقام المسيح بناء على قول الرسول بولس عن بني اسرائيل (١ قور ١٠ : ٤): « كانوا يشربون من الصخرة الروحية التي كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح ». وفي الجدار المقابل ترى صورة الصخرة عينها يحدق بها بعض الاشخاص وسبع قفف من الخبز اشارة الى الاعجوبة المذكورة آنفاً. امّا الصخرة فلا ينبعث منها ماء. وما سبب ذلك الّا لانها لم تعدْ تشخّص المسيح كما كانت تشخّصهُ في الصورة الاولى لوجود شيء آخر يقوم مقام الماء. اعني الخبز الّا ان وجودها مع الخبز بعد ان استُخدمت قبلًا لتشخّص المسيح يدلّ واضحاً على اعتقاد القدماء بالحضور الحقيقي في الافخارستيّة

٥ واكثر ما نجدهُ في هذا الصدد صورة ظهور المسيح وغدائه على ساحل بحيرة طبريّة مع سبعة من تلاميذه حيث جلس معهم على مائدة فيها خبز وسمك مشوي (يوحنا ف ٢١). ففي حُجر داماس كلستوس نرى صورة التلاميذ السبعة وامامهم سمكة مشويّة ولا نجد صورة المسيح معهم وذلك لانهم كانوا يريدون بالسمكة المسيح نفسهُ. ولكي تكون العلاقة بين هذا الغذاء والافخارستيّة اوضح فقد صوّروا حول

المائدة قفف الخبز. وفي نقوش اخرى من الدياميس عينها بدلًا من المائدة نشاهد مذبحًا بثلاث قوائم وفوقهُ السمكة وحولهُ قفف الخبز السبع. واعلم ان السمكة المشويَّة على الجمر عند آباء الكنيسة رمز عن المسيح المضطرم بنيران المحبة الالهيَّة فوق مذبح قربانهِ. ونقرأ في كتاب احد آباء كنيسة افريقية لم يُذكر اسمهُ شهادةً فيها يدعو المسيح: «السمكة العظيمة الذي اشبع من نفسهِ التلاميذ على الساحل ووهب ذاتهُ للعالم كلهِ سمكةً نتنوَّر ونتقوَّى بدواءِ احشائها». يشير بذلك الى سمكة طوبيا (سفر طوبيا ف ٦)

٦ وقد كان قدماء المسيحيين يعبرون عن ايمانهم بالافخارستية برموز القيامة والخلود اذ ان الملاقة بينهما بديهيَّة كما قال الربُّ: «من يأكل جسدي ويشرب دمي لهُ الحياة الدائمة وانا اقيمهُ في اليوم الاخير». ولهذا ففي مقبرة بريكستاتس تجد حجرًا للجيل الثاني او الثالث منقوش عليهِ طاووسان حول اناءٍ ذي عروتين وعلى فم الاناء خبز بشكل الاقراص تُدعى الاكاليل المكرَّسة وكانت تُستعمل في القداس. ولمَّا كان الطاووس عند المسيحيين القدماء رمزًا عن القيامة والخلود فمعنى هذه الصورة هو ان الافخارستيَّة هي عربونها وعلَّتها ولا يخفى ما في ذلك من البرهان القويّ على اعتقادهم بالحضور الحقيقيّ. قال كيرلس الاسكندري في شرح الفصل السادس من انجيل يوحنا: «ولو كان الموت قد اخضع الجسد البشري الى ضرورة الفساد لكن من حيث ان المسيح هو فينا فسنقوم لا محالة لانهُ لا يُصدَّق بل هو من المحال ان الحياة لا تحيي من كانت فيهِ فكما اننا نطمر شرارة النار في تبن كثير لكي يحفظ زرع النار هكذا ربنا يسوع المسيح يودعنا الحياة بجسدهِ ويضعها داخلنا بمثابة زرع الخلود وهي تزيل كل فساد فينا (انتهى). وهذا غني عن كل شرح

ثمَّ انهُ في احد جدران لوقينا (حجر) تُشاهد صورة غنم حول الاناء الافخارستي وفي الجدار المقابل لهُ صورة حمامتين تسرحان في بستان نُثرت فيهِ الزهور مكتنف بالاشجار فالغنم في عرف اصحاب هذا الفن هم المؤمنون في حال وجودهم في منفى هذا العالم. فيكون معنى هذه الصورة ان المؤمنين في هذه الحياة الثانية يتقوَّون بدواء الخلود اي الافخارستيَّة والحمامات هم المؤمنون عينهم في حال حصولهم على هذا الخلود والسعادة السرمديَّة بقوَّة ذاك القوت الالهي



١ السمكة رمز عن المسيح مع الخبز والخمر في مدفن كالستوس (القرن الاول او الثاني) ٢ سمكتان وجدتا على ضريح نصراني في مودينة مع الخبز الافخارستي (القرن الثالث) ٣ حملٌ حامل الحليب رمز عن الافخارستية مع عصاة الرعاية في مدفن دوميتلا ٤ حمل آخر مع الحليب في مدفن القديسين بطرس ومرشلينوس ٥ الخبز الافخارستي على المذبح مع صورة الكاهن وصورة الكنيسة مرموز عنها بامرأة تصلي (في مدفن كلستوس. القرن الاول او الثاني)

ووفقاً لهذا المعنى نجد في الدياميس كؤوساً قديمة من زجاج منها صحيحة ومنها مكسورة ورُني اسفلها او على جدارها مكتوب : « اشرب فتحيا » او: « اشرب لتستطيع ان تحيا في الخير » او « الخيرات ». ومعلوم ان الآباء اليونانيين كانوا يلقّبون الافخارستيّا بالخير او الخيرات على سبيل الغلبة

ولا ريب في قدميّة هذه الكؤوس اذ من الاكيد انها سبقت عهد البابا اوربانوس الاول اعني قبل سنة ٢٢٧ لأننا نعلم من التاريخ بان سالفهُ البابا زفيرينوس لكي يوافق الفقر مع اللياقة امر ان تكون الكؤوس المستعملة في القداس على الاقلّ من زجاج. فلمّا تبرّأ بعده' اوربانوس المذكور السدَّة البطرسيَّة نهى استعمال الزجاج بناء على سرعة عطبه. اذن هذه الكؤوس هي من عهد البابا زفيرينوس اعني قبل السنة المذكورة آنفاً

واما اعتقاد الاجيال الاولى بالافخارستيّة من حيث كونها ذبيحة حقيقيّة فنستدلّ عليه : (اولاً) ممّا قيل حتى الآن من امر المذابح والموائد وبين المذبح والقربان الحقيقي علاقة لازمة. (ثانياً) من اننا نجد ما عدا ذلك مذابح كثيرة في الدياميس باقية الى يومنا هذا وهذه كانت قبور الشهداء ومنها جرت السنَّة في الكنيسة اللاتينيَّة ان لا يُكرّس المذبح الّا بصخرة تحتوي على ذخائر الشهداء والقديسين. (ثالثاً) في حُجر دياس كلستوس الخمس نشاهد صورة مائدة مثلّثة القوائم هي مذبح التقريب وفوقها خبز وسمكة وبجانب المذبح صورة رجل رسولي موشّح برداء يمدّ يده' فوق الخبز والسمكة فهذه كما هو واضح هي صورة الكاهن الذي يُتمّم رتبة السرّ ومن الجانب الآخر صورة امرأة واقفة ورافعة ذراعيها الى السماء. فهذه المصلّية هي رمز الكنيسة اعني جماعة المؤمنين الحاضرين الذبيحة وهم يصلون والسمكة هي المسيح بالذات حاضر في الذبيحة تحت الاشكال السريّة وقبالة هذه الصورة في الجدار الآخر صورة ابراهيم واسحق وخشب الوقود والحمل المذبوح عوضاً عن اسحق كل ذلك رمز عن ذبيحة المسيح في الافخارستيّة لان ذبيحة اسحق لم تكن فقط رمزاً مشخّصاً ذبيحة الصليب بل تشير ايضاً الى الذبيحة غير الدمويّة التي قرّبها المسيح في العشاء الاخير قبل ذهابه الى الصلب. قال يوحنا فم الذهب: « ان ابراهيم لم يلوّث سكّينهُ بالدم ولا صبغ به المذبح فهكذا (في الكنيسة) يوجد قربان يُقرَّب بدون سفك الدم ومن كان مطلعاً على الاسرار

المقدسة يفهم جيدًا ما اقوله . ان ذبيحة اسحق كانت بدون سفك الدم لا نها كانت صورة قربان مذابحنا »

ليت شعري ترى كيف يستطيع الانسان ان يتعامى تجاه هذا النور الساطع فوا اسفًا على من افضى به روح الغرض والكبرياء والحقد الى نكران حقيقة قد اضحت اجلى من الشمس في رائعة النهار فهل مثل هؤلاء يخشون الّا نفوسهم

هذا وفي الختام اريد ان تلاحظ ايها القارئ انهُ لمَّا قام في آخر الزمان أقوام اخذوا يتطاولون على كنيسة الله ناسبين الى نفوسهم التمسُّك بالقدميَّة وللكنيسة الرّ بنان عنها كانت العناية الصمدانيَّة قبل ذلك بخمسة عشر جيلًا قد اعدَّت تحت الارض تفنيدًا وخزيًا لهم بآثار و براهين وضيَّة مبرمة ولم تزَ جلّت حكمتها ان تبرزها الى عالم الوجود الّا في جيل يميل فيهِ البشر الى حب الفحص والتنقيب على القدميَّة عينها لعلَّهم يرعوون

وخلاصة الكلام قد حصلت اليوم الكنيسة الكاثوليكيَّة على علم لاهوتٍ جديد يثبت واحدة واحدة من عقائدها ويفحم من ينكرها افحامًا قاطعًا ولا بأس ان سمَّيتهُ . لاهوتًا حجريًا بما ان براهينهُ ليست من الكتب المقدسة ولا من شهادة آباء الكنيسة ولا من تحديدات المجامع ونحوها بل من شهادة صخور ومعادن صماء تنطق بلسان حالها فيسوغ لنا والحالة هذه ان تضع على جانب تلك البراهين الاعتيادية ونحاجَّ اخصامنا بما قالهُ المسيح لليهود معانديهِ (لوقا ١٩ : ٤٠) : « اقول لكم انهُ ان سكت هؤلاء صرخت الحجارة » والسلام

مصفاة لصَفْق زيت الزيتون

لجناب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر

انَّ في الزيتون كميَّة وافرة من الماء لا بُدَّ من افرازها بعد عصرهِ . ولكن فصل الماء عن الزيت ربَّما كان بطيئًا مع ما يوجد بينهما من الفرق في الثقل النوعي . ولا نجهل انَّ البعض ينالون فصلًا تامًّا وسريعًا بين العنصرين وذلك بان يسخّنوا معجون الزيتون بعد خروجهِ من تحت الرحى او وضعهِ في المعصرة بيد ان ذلك يبخس الزيت قدره

ويُنقص ثمنهُ بما يوليهِ من الذوق التفه المعروف بذوق السناج

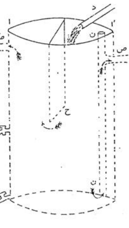
ومن اراد ان يستخرج لهُ زيتاً طيباً من الصنف المسمَّى الزيت البكر ينبغي لهُ ان يعصر الزيتون عصرًا معتدلًا دون احمائهِ. لكنَّ هذه الطريقة تفقدهُ قسماً صالحاً من الزيت الذي يبقى ممزوجاً بمائية الثمرة فيُقتضى استخراجهُ منها. وكان ارباب الزراعة اخترعوا لسدّ هذا الخلل وسائط عديدة منها ساذجة بسيطة كما في بلادنا ومنها مبتكرة ذات جهاز حسن كما ترى في اقطار اوربة الجنوبيَّة حيث يكثر الزيتون وكلّ هذه الاختراعات مبنيَّة على خاصة الفرق بين ثقل الزيت والماء.

ففي بلاد الشام اذا عُصر الزيتون سال العصير من المعصرة في الحوض من الحجر. وهناك يروق مدَّة حتى يطفو الزيت فيُقطف بالكبة وهي اناء اسطواني من التنك يجيلونها على سطح الماء منحنية فيجمعون الزيت. ومنهم مَن يقطفهُ بملاعق مستوية من الخشب او التنك وهذه الطريقة افضل من قطف الكبة. واذا لم يعُد يمكنهم ان يقطفوا شيئاً من الزيت صبوا الماء الباقي في خابية مثقوبة في علوّ ١٠ سنتيمترات من قعرها ثم يخضونهُ ويدعونهُ سبعة أيام او ثمانية حتى يصفو ويتصاعد الزيت فوق المائع. فيفتحون اذ ذاك الثقب الاسفل فيجري منهُ الماء. وهم يراقبونهُ فاذا رأوهُ تكدَّر ولمع استدلُّوا بذلك على وجود الزيت فيهِ فسدُّوا الثقب (١ وسكبوا المائع في قدر فيجعلونهُ على النار ويحركونهُ حتى يغلي ثمّ يُصفُّونهُ ويقطفون ما طفا فوقهُ من العكَر (الدخم) وما يبقى في القدر يدعونهُ الدردي وهو لا يُؤكل لكنهُ يصلح للصنائع كعمل الصابون والإنارة الى غير ذلك. وقد لحظتُ انَّ اهل بلادنا من دأبهم ان يجعلوا في اسفل الاناء اقراصاً (tourteaux) الغاية منها ان تسهِّل بحرارتها افراز المائعين وفصلهما وذلك بما يحصل في هذه الاقراص من الاختمار

فترى مما سبق ما تقتضيهِ هذه الطريقة التي وصفناها من طول الزمن وتوالي المعالجات. ومن نقصانها انَّ قسماً كبيرًا من الزيت يكون بخس القدر قليل المنفعة. فسعى كثيرون من ارباب الخبرة ان يستدركوا هذا الخلل بوضع آلات مختلفة لتصفية الزيت وانما فاق عليها جميعاً جهاز جديد اخترعهُ في الجزائر الزراعي الفاضل توما دي ازازغا

١) والماء المسكوب يُجعل في جورة حُفرت في الارض فاذا صفا وراق قطفوا من وجههِ ما تضمنهُ من الزيت

(d'Azazga) واستحسنهُ كل من فحصهُ فحصاً مدقّقاً . والراووق المذكور ماكاد يعرف زرّاع الزيتون تركيبهُ حتى استعملوهُ لتصفية زيتهم وفضّلوهُ على سواه . ومن خواصه انهُ رخيص الثمن سهل التجهيز والنقل لا كلفة في تنظيفهِ فتراهُ احسن ما يمكن استعمالهُ في معاصر زيتنا كبيرة كانت ام صغيرة . وهو مبنيٌّ على مبدإ فرق الثقل الموجود بين الزيت والماء . وهاك تعريب وصفهِ كما ورد في مقالة وضعها مخترعها حيث قال (١ :



تتركّب هذه المصفاة من إناء قابل (ا ا) علوهُ متر وقطرهُ ٦٠ سنتيمترًا وفي هذا الاناء انبوب (ن ن) مملوءٌ ماء الى علوّ فوهة مصبّهِ (ص) يتّصل طرفهُ الاسفل بقعر الاناء . امّا فوهة مصبّهِ فبعدها عن الطرف السافل ٨٠ سنتيمترًا

هذا والفوهة التي يسيل منها الزيت (ص) تكون على علوّ ٨٤ سنتيمترًا ويملأ الاناء ٤٠ سنتيمترًا ماء و ٤٤ سنتيمترًا زيتًا بحيث يوازن مجموعها عمود الماء الذي في الانبوب (ب) ويصير المائعان على سواء المصبّين (ص ص) لاختلاف ثقلهما . فاذا ثبتت الموازنة على هذه الصورة وجرى في الاناء من الانبوب (د) عصير الزيتون اي مزيج الزيت والماء انهبط في الاناء من جهة الحاجز الجزئي (ح) الذي يبلغ طرفهُ الى ٥ سنتيمترًا من القعر بحيث يبقى تحتهُ خمسة سنتيمترات زيتًا . وهناك ينفصل العنصران ويجري كلٌّ منهما من جهتهِ بنوع متواصل من المصبّين (ص ص) . واذا اردتَ تنظيف الاناء فتحتَ الحنفيّتين السفليين

فهذا الجهاز كما ترى في غاية البساطة يسهل تركيبهُ وفيهِ من توفير الوقت واقتصاد النفقات ما يرغّب في استعمالهِ كلّ من أطلع عليه والسلام

١) راجع مجلة الزراعة الجزائريّة (ص ٦٥٨)

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

(اسمهم) وللصابئة اسم آخر وهو «نصورايا» قال المقتطف عن معناها: (٢٣: ٩٠) امَّا اسمهم نصوراتي (كذا. والاصح نَصوراتِي او نصوراني او ناصورايا على سبيل الحكاية) فتحريف كلمة نصارى او نـاطرة (كذا) نسبة الى طائفة النـاطرة التي كانت في سوريَّة منذ عهد طويل» اه. وعندنا انها مشتقَّة من فعل: «نوذ» ومعناه في لغتهم: «رنَّم ورتَّل لله وسبَّحهُ ومجدهُ» وذلك لانَّ الصابئة يُكثرون في النهار الواحد من نوع من الاصطباغ يسمُّونهُ بلسانهم «الرَّشم» ويقابلهُ عند العرب «الوضوء» وهو الاغتسال عند حدوث جَنابة ايًّا كانت. وكما انَّ هذا الرشم لا يتمّ الَّا بتلاوة الصلوات فعليهِ اصبح معنى «نصورايا» المُصلون والمسبِّحون والمتمجدون ونحو ذلك. ثمَّ توسَّعوا فيها فاصبح معناها اليوم: «الصالح» مطلقاً من كلِّ ملةٍ ونحلةٍ. واذا ارادوا أن يقولوا: «هذا رجلٌ صالح» عبَّروا بلسانهم على هذا الوجه «ها زِين گُوْرا ناصورايا» غير انهم في اغلب الاحايين يحصرون معنى هذه اللفظة بطائفة خدَمة الدين او الاكليروس. او كما يقول العرب «العلماء». وسبب تقييدهم لهـذا المعنى هو ان خدَمة الدين عندهم يصلُّون اكثر بكثيرٍ من عامَّتهم فحقَّ لهم هذا الاسم

ومن هذا كلِّهِ تستنتج ان الذين يقولون ان «النصورايا» هو اسم يُطلق على جميع المندائيين «حالًا او في هـذه الأيام» هم في وَهم ظاهر. بخلاف ما لو قالوا ان ذلك هو اسمهم عند الاقدمين فحينئذٍ لا لوم عليهم ولا تثريب ولا هم يخزنون عند التحقيق والتنقيب. — ومن اسمائهم القديمـة ما ذكرها العلامة المؤرِّخ ثيودور بَرخوني صاحب «كتاب الاسكوليون» واليك معرَّب كلامهِ قال: «واسمهم (اي اسم اتباع آدا وهم المندائيون كما رأيت) في ميسان (قلتُ: ميسان كورة معروفـة من كُوَر دجلة بسواد العراق بين البصرة وواسط. عن التاج) المندائيون والمَشكَنيُّون (هذه اللفظة الاخيرة منسوبة الى المشكنة وهي بلسانهم الفصيح الكنيسةُ والبيعة والمُصلَّى. امَّا بلغتهم العاميَّة

فتسمّى البيعة «مَندي») اصحاب من يأتي القُرْبات. واسمهم في بيت ارمايي (اي في سواد العراق) ناصورايي اصحاب دُستاني. امّا الاسم الذي يليق بهم فهو الآدَوْيون. وقد اخذوا مذهبهم عن المرقيونيين والمانويين والكَنتيّين (١

(ذكر الصابئة في التأريخ) لا نرى للصابئة ذكرًا صريحًا في كتاب الله. وكل مرّة اراد التنزيل ان يذكرهم نوّه بعبادتهم. قال عزّ من قائل في تثنية الاشتراع يُذكّر اسرائيل بحفظ العهد ويزجرهُ عن عبادة الاوثان ثم ينحيه بعد ذلك عن الصابئة او عبادة النيّرات ما نصّهُ: «... وكيلا ترفع طرفك الى السماء فتنظر الشمس والقمر والكواكب فتجتذب وتسجد لها وتعبدها» (التثنية ٤: ١٩) ويقرب من لفظ الصابئين حرف «السَبَئيين» في اصل الاشتقاق الّا ان هؤلاء قومٌ آخرون وقد جاء ذكرهم في نبوّة اشعيا (٤٣: ٣ ثم ٤٥: ١٤) وفي الزبور (٥٢: ١٠) الخ (٢

---

١) Vid. Pognon.-Insc. mand. des Coupes de Khouabir, p. 154 et 224

٢) والافرنج يسمُّون الصابئين والسبئيين بلفظ واحد Sabéens وكلاهما «عندهم» مشتق من «سبأ» فاذا ارادوا بلفظ Sabéens سكان مدينة سَبأ او مأرب كان لهم ذلك جائزًا من باب النسبة عندهم. وان ارادوا بذلك ايضاً الصابئة او المندائية جاز لهم هذا ايضاً وسبب هذا التجوُّز هو ان الديانة التي كانت متغلبة في قديم الزمان في سبأ هي الصابئية او عبادة الكواكب والنيّرات فحقَّ لهم وجه هذه النسبة لان العادة في تسمية الاديان نسبتها الى اصحابها الذين انشأوها فتقول مثلًا: الموسويّة والمسيحيّة. لكن اذا جُهل صاحبها فحينئذٍ تُنسب الى البلد التي تُوجد فيها او وُجدت او نشأت. فيقول العرب مثلًا: «الحرّانيّة» لفرقةٍ من الصابئة نشأت في بلدة حرّان. لكن لمّا لم يُعرف صاحبها سمّوها باسم البلدة التي وُجدت فيها. وعليهِ ففي قولك «الحرّانية» اشارة الى ديانة ساكني مدينة حرّان. ومن ثمّ فقول الشيخ ابراهيم اليازجي في البيان (حاشية ص ٩٦). وزعم ليتراي انهم سُمُّوا كذلك نسبةً الى سبأ وهي مدينة مارب باليمن وانما اختلط عليه لفظ الصابئين بالسبئيين... وشتّان بين اللفظين» هو وَهْم الى التصريح بهِ. لانهُ قد تحتمل اللفظة الواحدة وجهين من التأويل بدون ان يكون شطط في ذلك. على ان الافرنج تركوا اليوم لفظة Sabéens بمعنى الصابئة مستعملين عوضها لفظة المندائيين Mandéens رفعاً للّبس. ثم نزيد الشيخ علماً ان العرب قد نسبوا الى المدينة ايضاً بعض الاديان وان عُرف صاحبها وذلك لاشتهاره باسم مدينتهِ كما جاء من هذا القبيل لفظة «النصرانيّة» فانها منسوبة الى الناصرة بزيادة الالف والنون قبل الياء (على الطريقة الآرامية) كما قالوا: «روحانيّ وربّانيّ وجرانيّ وصنعانيّ ورَوحانيّ في النسبة الى روح وجراء وصنعاء ورَوحاء» (القواعد الجليّة ١: ١٠١) غير انّهم لمّا قالوا ناصراني حذفوا الالف الاولى للتخفيف. امّا رأي بعض النحاة واللغويين في وضع هذه اللفظة واصل نسبتها فمّا لا يُكترث

اما القرآن فقد ذكر الصابئة ذكراً صريحاً. من ذلك ما جاء في سورة البقرة: « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ». وما جاء في سورة الحج: « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا. ان الله يفصل بينهم يوم القيامة. ان الله على كل شيء شهيد ». وما جاء في سورة المائدة: « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ».

وسائل يسألنا هنا: هل الصابئون الذين ذكرهم القرآن في عداد اهل الكتاب هم نفس الصابئين الذين يدور الكلام عليهم في هذه النبذة؟ – قلنا: قد انكر قوم كون الصابئة الحاليين هم نفس صابئة القرآن غير ان نكيرهم لا يقوم على ساق صحيحة. أما كونهم هم بعينهم. فلنا على ذلك شواهد كثيرة منها: ١ً شهادة الصابئة نفوسهم. ٢ً ان العلماء المشهورين الذين نبغوا بين الصابئة في عصر العباسيين الزاهر مذكورة اساميهم عندهم ويعظّمونهم ويؤكدون انهم من نحلتهم. ٣ً ان القرآن صرّح بكونهم من اهل الكتاب وكتابهم هذا هو المسمّى: « گنزا ربّا » او: « سدرا دآدم » اي الكتاب المعظم او سفر آدم او صُحُف آدم لانهم يزعمون ان الله اتاهُ على صدر آدم. ٤ً ان هذا السفر وان كان قد زيد عليه زيادات بعد القرن السابع للمسيح الّا ان معظمهُ من القرن الثاني والثالث للمسيح لادلّة لا محلّ لذكرها هنا. وعليه فلمّا ظهر الاسلام كان سفر آدم بين ايدي اصحابهِ. وكونهم يدّعون بانهُ أُنزل على آدم اعتبرهم صاحب الشريعة الاسلاميَّة من اهل الكتاب. ٥ً يشهد على هذه الحقيقة الناصعة اهل التفسير. ولكي لا نُطيل الكلام على غير جدوى نستشهد بامام المفسّرين وشيخهم. قال في الكشّاف في تفسير آية سورة البقرة: « والصابئين وهو من صَبَأَ اذا خرج من الدين وهم قومٌ عدلوا عن دين اليهوديَّة والنصرانيَّة وعبدوا الملائكة » ففي قوله « عبدوا الملائكة » اشارة الى تعظيمهم الروحانيين الذين عندهم بمنزلة الملائكة. وكثيراً ما يسمّونهم بالملائكة ايضاً الى يومنا هذا. وقال في تفسير آية سورة الحج: « جُعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم ». وقد اشار المفسر بذلك الى الصابئة فرقة من النصارى قائمة بذاتها على ما مرَّ بك انهم قد ادخلوا في معتقدهم شيئاً كثيراً من

مذهب الأذرّيين الذين كانوا بدعةً هالكة من النصارى. واما ذكر الصابئة في سائر كُتب المؤرخين القدماء. فهي كثيرة. وراجع بهذا الصدد اسطرابون: (Strabo XVI 768) وديدور (Diod. p. 3, 38, 46) وبلين (Plin. p. 6, 32)

(معتقدهم) لا يمكننا ان نأتي بذكر معتقد هذه النحلة بدون ان نذكر تمهيدًا لها فذلكةً عن معتقد الأذرّيين الذين اخذ عنهم الصابئة كثيرًا من آرائهم. فنقول:

تمتاز الأذرّيَة بضلالين عظيمين هما بمنزلة ساقين يقف عليهما مذهبهم. فالضلال الاوَّل: الثَنَويَة اي القول بوجود كائنين ازليَّين متواجهين متضادَّين وهما صاحب الخير او النور وصاحب الشرّ او الظلمة. والضلال الثاني: الصدور وهو عبارة عن نشوء احد هذين الكائنين او كليهما على طريقة ينمو او ينموان فيها نموًّا يترادف فيها الكائن بعد الكائن على آسالٍ من ابيهِ وهاتِهِ الكائنات تُعرف باسم « الرُوحانيين » (éons) وكل مرّةٍ يُدرِكُ الكائن الاوَّل الالهيّ نفسهُ بمعنى جديدٍ كمفكّرٍ ومتكلّمٍ وحيّ او كحكيمٍ وعادلٍ ومنزّهٍ وخالدٍ وقدير الخ ينقلب ذلك الفعل الالهي هُويَّةً جديدةً هي « الروحانيّ ».

وعلى رأي الادرّيين ان الروحانيّ الذي أُرسل لتنظيم الهيولى المتنتنة هو من الروحانيين الخاضعين لمن هم أعلى منهم واسمهُ عندهم « العامل » (démiurge). وهو على رأي فريق منهم مُعادٍ ابدًا للكائن الأعلى. اما الذين انشأوا خلق الكون فهم مدبّرو المتحيّرات السبع الذين دأبوا في عملهم دون معرفة الله. فلمَّا رأى تعالى ما حلَّ بالعالم من الانقسام والتجزؤ وكلَ ادارتهُ الى الرُؤَساء ثم الى آخري الروحانيين ممَّن هم قريبون من المادة الرديئة والمتنتنة فنالوا مُلك العالم مكافأةً عن دأبهم. اما تدبير العالم فكان نصيب « الحكمة » (Sophie) وهي روحانيَّة انثى من الطبقة الاولى وآخر ثلاثين الروحاني الذين شغلوا « ملء الوجود » (Plérome) ما عدا اربعة منهم يُعرفون باسم « القلبية » (Cœlibes) وهم: الحدّ (Horos) وروح القدس والمسيح ويسوع. وكانت « الحكمة » منافسةً للمعبود الاعلى ومن شدّة غيرتها ولدت ابنة اسمها « حكموت » (اي الحكم) وهذه الابنة وقعت على الهيولى فولدت منها ابنًا اسمهُ « العامل » وهو الذي خلق العالم باسرهِ إن كان هذا العالم عُلويًا وسماء المتخذين من المادّة اللطيفة. وإن كان عالمًا سفليًا وارضًا المتخذين من المادّة الخشنة. وان كان الانسان الذي هو مركّب من المادّتين اللطيفة والخشنة. وبعد هذا العمل ادَّعى « العامل » لنفسهِ الاكرام الالهيّ. ولهذا بُعث المسيح رئيس الروحانيين

في نيَّـة ان يحارب « العامل » فجاء بصورة يهوديّ صالح كان قد بلغ من التقى الغاية القصوى وكان يُعرف باسم يسوع لكن ترك بعد ذلك شخصيَّة هـذا اليهودي الصالح وصعد الى السماء لان « العامل » كان قد اثار الناس عليهِ ليصلبوه. (انتهى ملخَّصاً عن رُزْباكِر في كتابهِ تاريخ الكنيسة وتُكْر ونوربر »

امَّا مذهب الصابئة في هذا اليوم فيقرب كثيرًا من هذا المذهب. واليك ملخَّص ما قرأناهُ في كتبهم الدينيَّـة ثم تثبَّتناهُ من لسان شيوخهم: اول كائن وُجد من نفسهِ هو « مَلكا دَنْهورا » اي ملك النور (١. وليس من موجود اعظم منـهُ ولا من كان سبقهُ في الوجود. وهو من الروحانيين الذكور. وحالما وُجد وُجد معهُ ايضاً « سيات هيّي » اي خزانة الحياة. وهي من الروحانيين الاناث ومن اعظمهنَّ شرفاً وقدراً. و « لِملكا دَنْهورا » اسماء والقـاب شتى. منها « هيّي قدمايي » اي الحياة الاولى وهو الذي خلق عدة مساكن للروحانيين فجعل ٤٤٤ منها عن يمينـهِ و ٣٦٦ عن يسارهِ. ولم يعيّن لكلّ مسكن من هـذه المساكن الفًا وثمانمائة الف الفٍ من الروحانيين فقط بل اقام عليهم حارسَين عظيمين برأسانهم. — « وهيّي قدمايي » هو الذي عمّد في نهر الحياة (أَرْدنا ميًّا هيًّا » رسول الحياة « هيقل زيوا » واخويه « شيتل وانوش » ومعنى هذا التعميد انهُ كشف لهم اسم الحياة الاولى (هيّي قدمايي)

ومَلكا دَنهورا يسكن عالمًا نورانيًا يسمّونهُ « آلما دَنْهورا ». ولمَّا اراد الخلق صات صوتًا فوُجد للحال « مَلكا مارا دَرَبوتا أَلّيتا » (اي الملك صاحب العظمة العليَّة) ثمَّ صاح صيحةً ثانية فوُجد « مَندا دَهيّي » اي معرفة الحياة او رسول الحياة. وهذا نوَّه « بِهيقل زيوا وبشيتل وانوش أثرا ويُوشامَن دخيا وشُباً ربًّا وأواثر راما » الخ الخ. والخلاصة ان الولادة في الروحانيين هي على طريقة النداء والدعاء. وكل روحاني يريد

---

١) ومن اسمائهِ ايضاً : « الحياة » (هيّي) وهو عندهم (نقول « وهو » بالتذكير لان المدلول عليهِ مذكَّر لا مؤنث فنتبع في ذلك المعنى لا اللفظة حاذين حذو الصابئة في هذا الصدد) في ثلاثة اقانيم وُجدوا معًا. وهذا ترتيبهم: « هيّي قدمايي وهيّي تِنيانِي وهيّي تِلتايي » ومعنى ذلك الحياة الاولى والحياة الثانية والحياة الثالثة. لكلّ من هذه الاقانيم اسماء والقاب ونعوت مختلفة. هذا واذا رأيت اسم الحياة وحدها في كتبهم واسفارهم الدينية فاعلم ان المراد بها هذه الاقانيم الثلاثة معًا. ولهذا لا تتعجب حينما ترى النعوت التي ترجع الى هذه اللفظة المفردة المؤنثة مجموعةً جمعاً مذكرًا. فاحفظ ذلك لانهُ مهمّ في بابهِ

خلق روحانيّ آخر يُناديهِ فيُخلَق. وحينئذٍ يُعتبر بمنزلة ابن لمن ناداه. والروحانيون عديدون لا يكاد يُحصى عددهم. ويُقسمون الى مراتب مختلفة يُطلق عليهم اسم واحد وهو « آلي دَنهورا » او « إبني دَنهورا » اي خَلق النور او ابناء النور. وقد جاء في « الكنز ربَّا » ما معناه: خلق النور خلقٌ في منتهى الكمال الذي يمكن لمثل هذا الخلق ان يكون فيهِ وهو منتشر في الرقيع والمساكن والانهار والاشجار. ومنهُ: « القسامون (هم جنس من الروحانيين يُسمون بلسانهم أُثري) والملوك (مَلكي) وفي جميعهم الضياء والنور والجمال والبهاء. اه. ومن طبقات الروحانيين: الطيور (پيري) والانواع (مَاني) وذوو الجلالة (إشخيناتي) والابواب (تِيري) والعظماء (رُورباني) والملائكة (ملاكي) والمساكن (مشكني) والانهار (يَردني) والجداول (ارهاطي) الخ الخ. ومن هذا كلهِ ترى انهم ليسوا متساوين بل البعض اعظم قدرًا من البعض الآخر وارفع جاهًا ودرجةً بحسب قدمهم ومرتبتهم التي يرجعون اليها. وعليهِ فاقسام الروحانيين عندهم تُشبهُ اقسام الملائكة عند النصارى من قوَّات وعظمات وكراسي وكروبيين وسروفيّين وملائكة ورؤساء ملائكة الخ. ولكل روحاني من هذه المراتب وظيفة خصوصيَّة يقوم بها صاحبها. وهم كلهم بمنزلة الوزراء والخدمة لِمَلْكا دَنهورا يعظمونهُ ويسبحونهُ ويمجدونهُ. ومن ذلك ترى انهُ بمنزلة الإله الاعظم عندنا نحن النصارى (ستأتي البقيَّة)

رسالة ابي نصر الفارابيّ في السياسة

تولَّى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمَّة لما سبق)

١ . ما ينبغي ان يستعملهُ المرء مع رؤسائهِ

نبدأ بتعهُّد الرؤساء لما سنصفهُ فنقول: انَّ المرء مع من هو فوقهُ من الرؤساء لا يخلو من ان يكون متصدّيًا لخدمتهِ او يكون بينهُ وبين من هو فوقهُ حال يلقاهُ في بعض الاوقات او يكون بالبُعد منهُ لا يلقاهُ الَّا بالذكر. فواجبٌ على المرء ان يستعمل مع من هو متصدٍّ لخدمتهِ ما نقولهُ وهو ان يكون ملازمًا(١) لما هو بصددهِ مواظبًا على ما

١) جاء في النسخة الواتيكانيَّة: وهو ان يكون بينهُ وبينهُ اتّصال وملازمة

فُوّض اليهِ(47) ويجتهد ان يكون نُصب عينهِ او ذكرهِ (١ ولا يخشى الملال وخصوصاً من الملوك لانَّ موضع الملال انَّما يكون عند كثرة غشيان الناس المواضع التي ليس لهم فيها عمل. وان يكون مادحاً لهُ مقرّظاً (٢ لجميع ما يأتيهِ الرئيس من دقّ او جلّ مجتهداً في طلب وجوهٍ حسان لكل (٣ ما يفعلهُ [ويقولهُ] وهو واجدٌ لها (٤ اذ ليس شيء من الامور في العالم الّا ولهُ وجهان احدهما جميل والآخر قبيح فليطلب لكل امر من اموره وجهاً جميلًا يصرفهُ اليهِ ويتكلّف لذكرهِ (٥ بحضرتهِ وغيبتهِ

وان كان المرء ممَّن فُوّض اليهِ تدبير ذلك الرئيس [مثل ان يكون وزيرًا او مشيرًا او معلِّماً ولا بُدَّ من تعريفهِ وجه الصلاح في الاعمال فليعلم ان الرئيس (٦] كالسيل المنحدر من الربوة ان اراد المرء ان يصرفهُ الى ناحية من النواحي وواجههُ أهلك نفسهُ واتى عليهِ السيل فاغرقهُ. وان سعى معهُ وعلى جانبيهِ وتلطف ليصرفهُ الى الناحية التي يريدها بان يطرح في بعض جوانبهِ مقدارًا من السُّدُد ويُطرّق لهُ من الجانب الآخر لا ينشب ان يصرفهُ الى حيث شاء. وينبغي لهُ ايضاً ان يستعمل مع الرئيس في صرف وجههِ عمَّا يريد صرفهُ عن امرٍ يريد ان يجري معهُ في ما هو جارٍ نحوهُ (٧ ولا يواجههُ [بامر ولا نهي. بل يريهِ وجه الصلاح في خلاف ما يأتيهِ ويقبّح عندهُ في الوقت بعد الوقت على سبيل الحكايات عن غيرهِ والحِيَل اللطيفة بعض ما يعرض بما هو فيهِ. فانهُ اذا استعمل معهُ هذه الطريقة لا يلبث ان يعود الحال بمراده. وان يكون كاتماً لاسرارهِ والحيلة في ذلك ان يكتم جميع احوالهِ الظاهرة بما يقدر عليهِ فان من كان كاتماً للاحوال الظاهرة فهو بالحري ان لا يعثر على افشاء سرّ باطن. ولا يؤمَن على السرّ المكتوم ان يظهر ببعض الاحوال الظاهرة لانَّ الامور والاحوال متصلة متعلِّقة بعضها ببعض. وان يعلم انَّ للرؤساء همماً ينفردون بها عمَّن سواهم من الناس وهي انَّهم يعتقدون في جميع من دونهم الاستخدام والاستعباد وفي انفسهم الاصابة في جميع ما يأتونهُ. وانما تحدث هذه الهمَّة فيهم لكثرة مدح الناس لهم واطرائهم اعمالهم وتصويبهم آراءهم وذلك في طباع

---

١) ويروى : اذا ذكرهُ ٢) وفي الاصل : مازجاً لهُ مفرطاً . وهو تصحيف

٣) ويروى : في تحسين كلّ ٤) ويروى : وهو واجد ذلك

٥) ويروى : يتكلَّف ذكرهُ ٦) سقط من نسختنا وهو في النسخة الواتيكانية

٧) كذا في الاصل ولا يخلو من الالتباس

كلَّ الناس. وان يحترز كلَّ الاحتراز بان يخبر عن نفسهِ بحضرة الرئيس شيئاً يُمكن ان يتَّخذ ذلك بوجهٍ من الوجوه جرماً عليهِ (١] وان كان في غاية الانبساط معهُ ولا يُقِرّ بما يُلقى منهُ الى الرئيس مما يستقبح فسيَّان بين الخبر والاقرار (٢ وليس يُؤمن تغيُّر الاحوال

واما اذا اعترض بينهُ وبين الرئيس حال لا يمكن صرف القبيح منهُ الَّا اليهِ او الى الرئيس فقط فليجتهد في صرف ذلك القبيح الى نفسهِ وليجعل لذلك اوجهاً فاذا اتجه القبيح نحوهُ وتبرَّأت (٣ ساحة الرئيس منهُ او كاد ان يتجه فليَحتَلْ لان يطاب لذلك الامر سبباً يكون بدؤهُ من غيرهِ لترجع اللائمة عليهِ وان كان بالقصد الثاني على غيرهِ لئلا يلتزم باللائمة . وما من شيء ابلغ واعمّ نفعاً في باب العبوديّة من ترك المرء حظَّ نفسهِ في جميع ما يباشر من الاعمال الرئيسيَّة (٤ . فانَّهُ ما من امر يتعاطاه المرء مما هو بينه وبين الرئيس الَّا ويجد لنفسهِ فيهِ موضع حظٍّ فينبغي ان يتركهُ ويتجنَّبهُ ويستخلص لما هو حظُّ الرئيس فانَّهُ مهما (٥ فعل ذلك اجتنى ثمرة خيرهِ ومهما اشتغل باستيفاء حظّهِ لا يأتي الامر على وجههِ (٦ ووقع فيهِ خلل . وتَرْك الامر خير من افساده

وينبغي (47) ان يتلطَّف كلَّ التلطُّف في نيل (٧ المنافع من جهة الرؤساء بان لا يلحَّ في السؤال ولا يديمهُ ولا يظهر الطمع والشره من نفسهِ ويجتهد في ان يطلب من الرؤساء اسباب المنافع لا المنافع انفسها مثل اطلاق اليد في وجوه يجلب منها الاموال والمنافع ليقلَّ السؤال ويكثر النفع ويجتهد في ان ينتفع بالرئيس لا منهُ (٨ لانَّ من انتفع بهم اعزُّوهُ ومن انتفع منهم ملُّوه

وليضعْ نفسهُ عندهم في صورة من ينخلع عن ملكهِ وقنيتهِ لهم باهون كلمة وأدوَن سَعي . وليحذر كل الحذر من ان يُتصوَّر عندهم منهُ انهُ يضنُّ بمالهِ او يحب ان يستأثر

١) كلّ هذه القطعة قد رُويت في نسختنا القديمة في غير محلها . فان الناسخ نقلها الى الصفحة التالية سهواً . وهنا محلّها كما وردت في النسخة الواتيكانية

٢) روى في النسخة الواتيكانيَّة : وان لا يقرَّ بما يخبر الرئيس عنهُ مما يستقبح فشتَّان بين الخبر وبين الاقرار

٣) ويروى : تبرَّأت (دون عاطف)

٤) ويروى : من اعمالها

٥) ويروى : متى ما

٦) ويروى : لم يقع الامر على جهتهِ

٧) ويروى : في مثل . وهو تصحيف

٨) ويروى : في ان ينتفع الرئيس لا ان ينتفع منهُ

بشيء من مقتنياتهِ (١ فانَّهُ يصير حينئذٍ بعرض من الاستقصاء. والممنوع محروص عليهِ والمبذول مملولٌ منـهُ. وليجتهد ان يظهر في كلّ ما يقتضيهِ انَّما يفعلهُ [ليكون] زينةً وجمالًا للرئيس لا لنفسهِ فانهُ ملاك للابقاء. وليحذر ان يتّخـذ لنفسهِ شيئًا ممَّا يتفرَّد بهِ الرئيس او ممَّا يليق بالرؤساء الذين فوقهُ فانهُ كلما اتخذ شيئًا من ذلك عرّض نفسهُ للهلاك وعرَّض ذلك الشيء للذهاب. وينبغي ان لا يُظهر من نفسهِ الاستغناء عن الرؤساء ولا فيما يقلّ مقدارهُ (٢. [وان يكون مظهرًا ابدًا قناعةً ورضًى بكل ما يتصرَّف فيهِ من الامور والاحوال ومتى ما لحقتهُ سخطةٌ من الرئيس او ملال وما اشبههُ فليجتهد في ترك الشكاية منهُ وليحذر من اظهار العداوة والحقد وليصرف وجه الذنب منهُ الى نفسهِ ثم ليجتهد ويتلطَّف لتجـديد حال يزيل تلك السخطة باهون ما يقدر عليهِ. فهذه قوانين يُنتفع باستعمالها في معاشرة الرؤساء. (٣]

٢ ما ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع اكفائهِ

امَّا ما ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع الاكفاء. فسنذكر منهُ جُملًا ونقول ان الأكفاء لا يخلون من ان يكونوا اصدقاء او أعداء او ليسو باصدقاء ولا أعداء.

١ والاصدقاء صنفان: (احدهما) الاصفياء المخلصون في الصداقة فينبغي للمرء ان يديم ملاطفتهم وتعهُّد [احوالهم و] اسبابهم واهداء ما يستحسنهُ وما تيسَّر لهُ اليهم في كلّ وقت ويخفي الحال فيما بينهُ وبينهم بغير ان يظهر منهُ ملالٌ او تقصير. ويجتهد في الاكثار منهم غاية الجهد فان الصديق زين المرء وعضدهُ وعونهُ وناصرهُ ومذيع فضائلهِ وكاتم هفواتهِ وماحي زلَّاته. ومهما كان هؤلاء اكثر كانت أحوال المرء فيما بينهم احسن واقوم

(والصنف الآخر) الاصدقاء في الظاهر عن غير صـدق فيما يظهرونهُ بل بتشبُّه وتصنُّع فينبغي للمرء ان يجاملهم ويُحسن اليهم ولا يطلعهم عن شيء من اسراره وخصوصًا (48ᵛ) من عيوبـهِ ولا يلقي اليهم من خواصّ احاديثهِ وافعالهِ واحوالهِ ولا يحدّثهم عن نعمهِ ولا عن اسباب منافعهِ. وليجتهد في استمالتهم والصبر معهم بحسب الظاهر دون

---

١) وفي نسختنا: او يجب اليهِ معتنيًا بهِ. وهو تصحيف

٢) هنا كتب الناسخ سهوًا القطعة التي رويناها سابقًا عن النسخة الواتيكانية

٣) ما رويناهُ بين معكّفين قد سقط من نسختنا وهو في النسخة الواتيكانية

اخذهم بالباطل ولا يأخذهم بالتقصير ولا يقطع عتابهم فيما يقع منهم من التقصير ولا يجازيهم على ذلك فانهُ مهما فعل ذلك تُرجى صلاحهم ورجوعهم الى مرادهِ ولعلهم يصيرون في رتبة الأصفياء لهُ وليس شيء ادلّ على صدق الاخاء واظهار(١ الوفاء ولا اشدّ استجلابًا للمحبّة ووجوب الحقّ من تعهُّد أحوال اصدقاء الاصدقاء. فانّ المرء اذا رأى صديقهُ وهو يتعهّد احوال اخلائه والمتّصلين بهِ يستدلُّ بذلك على صدق محبّتهِ لهُ ويثق بودادهِ ويقوى املهُ ورجاؤهُ فيهِ. وافضل [ما يستعملهُ المرء مع اصدقائهِ هو ان يتعهّد احوالهم عند الحاجة والفاقة ويواسيهم (48ᵛ) بما يمكنهُ من غير ان يحوجهم الى المسئلة ويتفقّد (٢ اقاربهم وعيلاتهم اذا ماتوا فانهُ متى شُهر بذلك رغب في صداقتهِ كلُّ احد. وبذلك يكثر اصدقاؤهُ

٢ والاعداء ايضًا صنفان: (احدهما) ذوو الاحقاد والضغائن وينبغي للمرء ان يحترس منهم كل الاحتراس ويستطلع عن احوالهم بكل ما امكنهُ ومهما اطلع منهم على مكر او خديعة او تدبير يدبرونهُ فليقابلهم بما يناقض تدبيرهم ويكثر الشكاية منهم الى الرؤساء وافناء النـاس ليُعرَفوا بعداوتهم حتى لا ينجع في احد قولهم عليهِ وليصيروا متّهمين عند النـاس في اقوالهم وافعالهم بما ظهر عندهم من معاداتهم ايّاه. وكلُّ من أيس المرء من صلاحهِ وتيقّن سوء طبعهِ وتمكُّن الضغينة من قلبهِ فلينتهز الفرصة في اهلاكهِ (٣ ومهما وجدها فلينتهزها ولا يتغافل عمّا يمكنهُ اذا تيقّن بقدرتهِ على اهلاكهِ. وان علم انهُ ربّما لا يقدر على اتمام امرهِ والنجاة منهُ فلا يُسرع في شيء منهُ لئلا يجد العدوّ (٤] عليك ما يتعلّق بهِ عند الناس مما يمهّد لنفسهِ عندهم في عداوتهِ عذرًا

(والصنف الآخر) من الاعداء الحسّاد ويُنبغي للمرء ان يظهر لهم ما يغيظهم ويؤذيهم بان يُلقي اليهم ذكر النعم التي يختصّ بها لتذوب لها نفوسهم ويحترز مع ذلك من دسيستهم ويحتال لظهور حسدهم فيهِ وفي غيره من الناس ليُعرَفوا بذلك

---

١) ويروى: اضمار ٢) ويروى: ويتماهد

٣) هذه حكمة البشر امّا حكمة الفضيلة فتقضي بالصبر وردّ الخير بدلاً من الشرّ كما امر بذلك الانجيل الطاهر

٤) ما اشرنا اليهِ بمعقّفين ورد في نسختنا في غير محلهِ. والصواب كما ذكرناهُ هنا. وفقًا للنسخة الواتيكانية وطبقًا للمعنى

٣ فامّا سائر الناس الذين ليسوا بصديق ولا عدوّ ولا متصنّع فهم طبقات سنذكر جلّها وجلّ ما ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع كلّ طائفة منها

فنهم (النصحاء) الذين يتبرّعون بالنصيحة فالواجب على المرء ان يتفرّغ بالخلوة مع كلّ من ادّعى انهُ ناصح لهُ ويسمع الى قولهِ ويزم على قلبهِ اولًا (١بان لا يغترّ بكل قول يسمعهُ [وان لا يعجل الى قبولهِ] ولا يعمل بكل ما يُنهى اليهِ بل يتأمل اقاويلهم ويتعرّف اغراضهم غاية التعرُّف ليقف مع معرفة أغراضهم على حقيقة اقاويلهم. فاذا لاح لهُ وجه الصواب وحقيقة الامر في شيء ممّا ألقوهُ اليهِ بادر الى انفاذ الامر فيهِ. وليكن تلقّيهِ لكل واحد منهم بهشاشة واظهار حرص على ما يلقيهِ اليهِ

ومنهم (الصُلحاء) وهم اناس يتبرّعون لاصلاح ما بين الناس فيجب على المرء ان يمدحهم ابدًا على ما يعملونهُ وان يتشبّه بهم في جميع احوالهِ فانّ مذاهبهم مرضية عند جميع الناس ومهما تشبّه المرء بهم عُرف بالخير وحسن النيّة

ومنهم (السُفهاء) فيجب على المرء استعمال الحلم معهم وان لا يؤاتيهم ولا يقابلهم بما هم فيهِ من (49') السفاهة بل يتلقّاهم ابدًا بحلم رزين وسكون بليغ ليعرفوا قلة مبالاتهِ بما هم فيهِ (٢ ولا يؤذوهُ بعد ذلك متى تلقّوهُ بالمشاتمة [والسفه]. فيجب ان يتلقّاهم بالحقرة وقلة الاكتراث

ومنهم (اهل الكبر والمنافسة) فيجب على المرء ان يقابلهم بمثلهِ لانهُ ان تواضع احسُّوا منهُ بضعف وتوهموا [انّ فيهِ لينًا و] ان فعلهم ذلك صواب وانهُ لا بُدّ للناس من التواضع لهم ومتى تكبّر المرء عليهم وكابرهم (٣ في الاحوال وتأذّوا بهِ علموا ان الذنب في ذلك منهم ورجعوا الى التواضع وحسن المعاشرة

٣ ما ينبغي ان يستعملهُ المرء مع من دونهُ

وامّا الذي ينبغي للمرء ان يستعملهُ مع من دونهُ من الناس فانّا نصف منهُ ما تيسّر ونقول: انّ منهم الضعفاء وهم صنفان: (احدهما) المحاويج (٤ ذوو الفاقة وهم صنوف منهم الملحفون(٥ فينبغي ان لا يُعطيهم ولا يبذل لهم على إلحاحهم شيئًا ليتزجروا عن ذلك(٦ الّا اذا علم انهم صادقو الحاجة الى الشيء الضروري. ومنهم الكاذبون فيما

١) كذا في الاصل. ولعلّ فيهِ تصحيفًا ٢) ويروى: ليأسوا من مبالاتهم بما هم فيهِ
٣) ويروى: وكاثرهم ٤) ويروى: المحتاجون ٥) ويروى: الملحّون ٦) ويروى: عنهُ

يدّعونهُ من الفاقة فينبغي ان يميّز بينهم فان كان تمدُّهم للكذب لضرب من التدبير فلتكن معاملتهُ معهم في المواساة وسطاً من غير منع ولا بذل تامّ . ومنهم الضعفاء الصادقون فيما يبدونهُ من الحاجة فينبغي ان يتعهّدهم بالمواساة بغاية ما امكنهُ من غير ان يخلّ باحوال نفسهِ

(والصنف الآخر) هم المتعلّمون وذوو الحاجة [الى العلم] فمنهم أولو الطبائع الرديّة يقصدون تعلّم العلوم ليستعملوها في الشرور فينبغي للمرء ان يحملهم على تهذيب الاخلاق ولا يعلّمهم شيئاً من العلوم التي اذا عرفوها استعملوها فيما لا يجب . وليجتهد في كشف ما هم عليهِ من رداءة الطبع ليحذروا . ومنهم البلداء الذي لا يُرجى ذكاؤهم و براعتهم فينبغي ان يحثهم على ما هو أعوَد عليهم . ومنهم المتعلمون ذوو الاخلاق الطاهرة والطبائع الجيدة فيجب ان لا يدّخر عنهم شيئاً ممّا عنده من العلوم

٤ في سياسة المرء لنفسهِ

ثمّ انهُ ينبغي للمرء ان يرجع الى خاص(١) احوالهِ فيميّزها ويستعمل في كل حال من احوالهِ ما يعود بصلاحها . فمن ذلك خلل القنية والمال فالواجب عليهِ في ذلك ان يتأمّل وجوه الدخل ووجوه الخرج ويستقصي النظر في اسباب الدخل والوجوه التي يمكنهُ استجلاب المال منها الى ملكهِ فيبالغ في استجلابهِ من حيث لا يضرّ بشيء ممّا تقدّم ذكرُنا لهُ من الاصول [اعني بهِ لا يخلّ بدينهِ ومروءتهِ ولا بعرضهِ فانّهُ ليس كلُّ وجه تكون فيهِ منفعة يحسن بكلّ احد ان يتعرّض لهُ . مثال ذلك الدباغة والكناسة والتجارات الخسيسة والقمار والوجوه التي لا يحسن بذي المروءة ان يجتلب المال منها . فاذا تجنب هذه الوجوه واكتسب المال من وجههِ فيجب ان يخرجهُ بحسبهِ اعني (٢)] ان يكون خرجهُ بحسب دخلهِ (49ᵛ) ويجتهد ان يُعرف بالسخاء وليس السخاء بذل الاموال حيث اتفق لكن بذلُها فيما ينبغي وحيث ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي على سبيل الاعتدال [اللائق بحال طبقةٍ طبقةٍ من الناس]

ومن ذلك الجاه فينبغي للمرء ان يجتهد كل الجهد في إحراز الجاه لنفسهِ ومتى ما استقبلهُ امران يكون في تناول احدهما زيادة المنافع وفي الآخر زيادة الجاه فليبادر الى

١) وبروى : خواصّ

٢) وما ورد بين قوسين سقط من اصل نسختنا وهو في النسخة الواتيكانية

الامر الذي هو اعود عليهِ في زيادة الجاه (١ اذ الجاه العريض يُكسب المال بالضرورة وليس المال يُكسب الجاه ضرورةً

ومن انفع ما يستعملهُ المرء في معاشهِ ما نذكرهُ وهو انهُ يجب ان يستجلب اللذات والشهوات (٢ كلها الى نفسهِ بجاههِ لا بمالهِ بكل ما امكنهُ فانَّ من استجلب اللذات بمالهِ دون جاههِ لا يصل الى لذَّتهِ كما يشتهيهِ ولا ينشب ان يذهب مالهُ ويصير تخزيةً بين الناس ويصير كلٌّ من انتفع بهِ عدوًّا لهُ . ومن استجلب بجاههِ وقضاء حوائج الناس وصل اليها كما يشتهيهِ [وفوق ما يشتهيهِ] . وكلٌّ من جلب اليهِ لذَّةً لطمعهِ في جاههِ كان صديقًا لهُ ابدًا محبًا لخيراتهِ [وموالياً] . ولسنا نومئ الى انهُ لا ينبغي ان ينفق من مالهِ شيئًا في اجتلاب لذاتهِ ولكن الى ان يكون معوَّلهُ في ذلك على الجاه لا على المال

ونقول الآن في تحصين الاسرار وفي استخراجها عن المُناوين واذا عرف المرء احد هذين البابين حصلت لهُ المعرفة بالثاني (٣ . ولكل طائفة من اهل الطبقات الثلث نوع من التحصين ونوع من الاستخراج وما نذكرهُ من الاصول فيها يصلح لكل طائفة منهم (٤ على مقداره ومرتبتهِ

فاوَّل منافع تحصين الاسرار وكتمانها هو ان يكون المرء قادرًا على إجالة الرأي (٥ في تدبيره وعلى انفاذهِ والامساك عنهُ الى ان يتجه لهُ وجه الصواب فيهِ فانهُ ما دام الامر مكتومًا كان قادرًا عليهِ فاذا ظهر خرج الامر عن مقدرتهِ (٦ . وفي كتمان الآراء والتدابير سلامةٌ من الآفات . ومن آفاتها الاعراض التي تعرض من إذاعتها فتصير موانع عن انفاذها ويعيا (٧ ذو الرأي عن رأيهِ بتلك الاعراض . ومنها ذهاب جدَّتهِ [وثمرة رأيهِ ونفاذه في جدَّتهِ] وطراءتهِ . ومنها ان الرأي اذا ظهر قُصد بالمناقضة واذا كان محصَّنًا سلم من المناقضة . ولكل امر نقيض . ومنها انَّ المرء الذي فيهِ التدبير والرأي لا يفطن لهُ حتى يقع فيبهتهُ ويَرِد عليهِ ما لا يحتسب (٨ . واذا ظهر قبل الوقوع قوبل بالتحفُّظ والتحرُّز

١) ويروى : الى ما هو منهُ زيادة الجاه

٢) المراد هنا اللذات والشهوات غير المحرَّمة ٣) ويروى : بالباب الآخر

٤) ويروى : منها ٥) ويروى : اصالة الرأي ٦) ويروى : عن يدهِ

٧) ويروى : ويفنى ٨) ويروى : فيبهتهُ ويردُ عليهِ ما لا يحبّ

وبطل الرأي والتدبير وتعطّل الوقت الذي افنى في احكامه. ولا بدَّ للمرء من المشاورة مع غيره (٥٣) في آرائه وتدابيره. فينبغي ان يستودعها ذوي النبل وكبر الهمّة وعزّة النفس وذوي العقول والألباب فانّ امثالهم لا يذيعونها وان يباشر في وقت إنشاء الرأي الامور التي يُستعان بمثلها على إحكام ذلك الرأي من [الاستشارة و] النظر في اخبار المتقدّمين والاستماع الى الاحاديث في السياسات اللائقة بذلك التدبير وان يستر جهده الامور الظاهرة المتعلّقة بذلك التدبير الذي يظهر مع ظهورها السرّ ويستعمل ما يضادّ ذلك الرأي من غير ان يظهر في نفسه حرصاً على استعمال الاضداد فانها ايضاً اذا كانت مع حرص مفرط تدلّ على نفس الامر وتوقع التهمة وتطلب معرفة الاسرار من الامور الظاهرة والباطنة جميعاً. امّا الامور الظاهرة فما يبدو من الرئيس من اخذ العزم وإعداد العُدَد واخذ الأهبة للامور التي كانت فيما قبل على التقصير ومن جمع المتفرّقات وتفريق المجتمعات وبالجملة تغيير الاحوال الظاهرة وايضاً من الامساك عن امور كان يباشرها المرء قبل ذلك ومن إدناء من كان قاصياً وإقصاء من كان دانياً وشدّة التطلّع للاخبار وحرص زائد في الوقوف على الاحاديث المختلطة ومن التيقّظ الزائد على كلّ ما كان قبل ذلك. وامّا من الامور الباطنة فمن استطلاع أحوال البطانة والحزم وإمساكهم عمّا كانوا غير ممسكين له واستعمالهم لما كانوا ممسكين عنه. فانّ البطانة والخواصّ اذا لم يكونوا حَزَمَةً ظهر من مصادر امورهم ومواردها ما يُسِرُّه الرئيس ويستطلع من أفواه الحجم والصبيان والجهّال والنساء والذين هم قليلو التمييز والعقول فانهُ ليس مع هؤلاء حصافة ولا عندهم من الرزانة ما يمكنهم التحرّز (١ به من الافشاء للاسرار

واجود ما تُستخرج به الاسرار كثرة المحادثة فان لكل واحد من الناس من يستأنس به ويلقي اليه بجميع أحاديثه وجُلّها واذا كثر الكلام والمحادثة فانهُ لا بدّ من ان يأتي ذلك على جُلّ ما في الضمائر

وايضاً فانّهُ ليس كلّ امر وتدبير يكون بموافقة الجميع بمحضرة الرئيس او صاحب التدبير وملاك أسباب الظفر بالاعداء هو ما نذكرهُ فنقول: انّ اوّل ما يجب ان يستعملهُ المرء هو ان يطلب العلوّ على عدوّه في كلّ فضيلة يُذكر بها ان كان من أهل الفضل ويتحرّى ان يقف العدوّ على ذلك ويعلمهُ منهُ فانّ ذلك ممّا يضعفهُ ويخمد نائرتهُ وان

١) ويروى: التحزّم

يحصي عليهِ معايبهُ حتى لا يُبقي صغيرًا ولا كبيرًا لا ظاهرًا ولا باطنًا من عيوبهِ ألّا جمعهُ ونشرهُ في النَّاس (٥٢ᵃ) وليتوخَّ في ذلك الصدق لئلا يُذهب حدَّتهُ وليجتنب الكذب على العدو فان الكذب عليهِ قوَّة لهُ وان يتعرَّف اخلاق العدوّ وشيمهُ وسجاياهُ وعاداتهِ ليقابل كل واحد منها بما يضادّهُ ويناقضهُ. وليجتهد في معرفة ما يقلقهُ ويضجرهُ فيوكِل [كل واحد و] بكل سبب من اسباب ضجرهِ وقلقهِ ما يهيّجهُ فان ذلك ملاك الظفر ومن ابلغ اسباب الفضيحة. واصل ذلك كلهِ والمرجع هو طلب السلامة منهُ ومن مكايدهِ بكل ما امكن زيادةً على طلب النكاية فيهِ

وممَّا ينتفع المرء بهِ غاية المنفعة هو الادب واصل الادب مزايلة الادب في الظاهر. ومن ذلك معرفة العورات واقتراض العثرات(١. وعمدة الادب شدَّة التطلُّع لما (٢ عند الناس والحرص على التباعد من ان يعرف الناس ما عند المرء. ومنهُ ايضًا ان يقصد الانسان لغير المقصود ثم يقصد المقصود. ومنهُ ان يبتدئ بالاعتلاء من الادنى فالادنى الى الاعلى فالاعلى. فان الرضا مع هذا الاستعمال وفي خلافهِ السخط. ومنهُ ان يحمل (٣ الاصعب ثمَّ الاخفّ. ومنهُ ان لا يظهر الغضب ولا الرضا بافراط. ومنهُ ايضًا المطل في بعض الاحوال اذا تعقبها الانجاح (٤. ومنهُ الصبر الى ان يظفر بالفرصة. ومن ذلك ان يقدّم للامور مقدّمات تصير توطئة لها. ومنهُ ان يأتي المرء الامر بلسان غيرهِ

ونحن الان ذاكرون من أقاويل القدماء واهل الفضل صدرًا يكون خاتمةً لقولنا هذا فان للحكايات والنوادر والامثال في مثل هذا الفن غناء عظيمًا فنقول:

قال افلاطون: الشيء الذي لا ينبغي ان تفعلهُ فلا تهمَّ بهِ. (وقال) من استحقَّ منك الخير فلا تنتظر ابتداءهُ بالمسألة ليكون اكمل التذاذًا واهنأ توقّعًا. وقيل خساسة المرء تُعرف بشيئين بقولهِ فيما لا ينفع واخبارهِ عمَّا لا يُسأل عنهُ. وقيل لا تحكم من قبل ان تسمع قول الخصمين. (وسُئل) لِمَ كلما علمتم اكثر كانت عنايتكم بالعلم اشدّ قال: لأنَّا كلما ازددنا علمًا ازددنا معرفةً بمنفعة (٥ العلم. (وسُئل) اي الاشياء اهون قال:

---

١) ويروى: وطلب العثرات ٢) ويروى: على ما ٣) ويروى: يحمل

٤) كذا. ويروى: ومن ذلك المطل اذا تعقبهُ الانجاح

٥) ويروى: بمعرفة

لائمة الجهال. (وسُئل) ايُّ اشي‌ء (١ يقدر كل انسان ان يجود بهِ. قال: حبُّ الخير للناس. (وسُئل) ما أفضل ما يُتعزّى بهِ عن المصائب. قال: امَّا للعلماء فعلمهم بانها ضرورةٌ. واماَّ لسائر الناس فالتأسّي. (وسُئل) ايُّ حسنةٍ لا يُحسد عليها وايُّ عيب لا يقبلهُ احد. قال: التواضع حسنة لا يُحسَد عليها (٢؛) والكبر عيب يرذلهُ كلُّ احد. (وسُئل) ما الشيء الذي اذا فقدهُ المرء كان دائم البلاء. فقيل: العقل. (وقيل) من طمع ان يذهب على الناس مذهبهُ فقد جهل. [(قال) اذا تقدَّم ضمان المرء للشيء لم يُقتفَ بهِ صار كالنائم الحسن]. (وقيل) لا تأمن من كذب لك ان يكذب عليك. (وقيل) طالب الحاجة على شرف امرَين ان قُضيت حاجتهُ صار كالامير وان لم تُقضَ صار كالكلب العقور. (وقيل) شَتْمَ مَن لا يحتمل شَتْمك استدعاء منك للشتم وشَتْم من يحتمل شتمك لؤم

(وقال) الادب يزين غنى الغني ويستر فقر الفقير. (وقيل) يجب على من اصطنع معروفاً ان يتناساهُ من ساعتهِ ويجب على مَن أُسدي اليهِ ان يكون ذكرهُ نصبَ عينيهِ. (وقيل) انَّ الذين يضمنون ما لا نفوذ بهِ يشبهون الاحلام المخيلة. (وسُئل) أيُّما احمد الحياء ام الخوف. قال: الحياء لانهُ يدلُّ على العقل والخوف يدلُّ على الجبن. (وقيل) دَعوا المزاح فانهُ لقاح الضغائن. (وقيل) اذا احببْتَ ان لا تفوتك شهوتك فاشتهِ ما يمكنك. (وقيل) أفضل الملوك مَن ملك شهواتهِ ولم يستعبده هواه. (وقيل) احسن ما عُوشر بهِ الملوك اثنان: البشاشة (٢ وتخفيف المؤونة. (وقيل) افضل ما يقتنيهِ المرء الصديق المُخلص. (وقيل) ثلاثة اشياء مَن برئ منهنَّ (٣ نال ثلثة اشياء: مَن برئ من الشرَه نال العزَّ ومَن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة. (وقيل) ثلاثة ينبغي للملوك ان لا يفرطوا فيهنَّ: حفظ الثغور وتفقُّد المظالم واختيار الصالحين لاعمالهم. (وقيل) ثلث لا يتمُّ المعروف الّا بهنَّ: تعجيله وتقليلهُ وترك الامتنان بهِ (٤. (وقيل) من تشاغل بالادب فاقلَّ ما يربح من ذلك ان لا يتفرَّغ للخطَل (٥. (وقيل) لا ينبغي للمرء ان يبلغ من مرارة النفس (٦ الى حدٍّ معهُ يُظنَّ انهُ

١) ويروى: ايُّ جودٍ ٢) ويروى: اتيان البشاشة ٣) ويروى: من برئ من ثلثة اشياء ٤) ويروى: وان تستقلَّهُ وان كان كثيراً وان تترك الامتنان بهِ
٥) ويروى: ان لا يتفرَّغ للخطإ . ٦) ويروى: من مراد نفسهِ

شرّير ولا يبلغ من لين الجانب الى حدّ يُظنّ بهِ انّهُ ملأق. (وقيل) لا تطلبوا من الاشياء ما احببتموهُ (١ ولكن أحبوا ما هي محبوبة في انفسها. (وسُئل) بماذا ينتقم الانسان من عدوّه فقيل: بان يتزيّد في نفسهِ فضلًا (٢

فهذه اصول وقوانين متى ما استعملها المرء في معاشهِ وقاس عليها في متصرفات اموره واسبابهِ استقامت بهِ احوالهُ. وطابت لهُ ايّامهُ وسلم من كثير الآفات ونال الحظ الجزيل من السعادات. وعند هذا القول خاتمة قولنا هذا والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين والصلاة على رسولهِ محمد وآلهِ الطيّبين الطاهرين (٣

تدبير الصحة في بيروت

لجناب الدكتور حبيب افندي درعوني (تابع لما سبق)

المسكن

لا حاجة للاسهاب في وصف مساكن بيروت بل حسب القارئ ان يُجيل طرفهُ حواليهِ فيستوعب هندامها. واكثر تلك المساكن او جميعها على نمط واحد وهي عبارة عن بناء مربّع لطيف بقاعة تشغل طول البناء. يسمّونها داراً ومن حولها غرف تُفتح ابوابها على تلك الدار من كل جهاتها الّا الشماليّة منها فانّها تُشرف على البحر من واجهة ذات ثلاث حنايا تسندها اعمدة من رخام وتسدّها مغالق من زجاج. وتقابل الواجهة من جهة الجنوب غرفة معروفة بالايوان او الديوان ثم غرفة شرقيّة تقابلها أخرى غربيّة وربّما وُجدت غرفتان متوازيتان او اكثر. وقد يكون المطبخ كما ذكرنا في الجهة الشرقيّة يُوصل اليه من معبر صغير يفصلهُ عن الدار ومن وراء المطبخ او في جوارهِ يكون المرحاض

وهذا الترتيب في تقطيع البناء موافق لقضاء اعمال المنزل ومناسبٌ للصحة من حيث الاتساع والعلوّ ولعب الهواء ورعاية النافذ غير انّهُ ليس يخلو من بعض الخلل

١) ويروى: ما ملتم اليهِ ٢) ويروى: بان يزداد فضلًا

٣) هذه الخاتمة ناقصة في النسخة الواتيكانية

اذا قصدت تمحيصهُ بمقتضى القانون الصحي . امَّا وقد قبلنا بهذا المندام لتمتّمه ومناسبته لحالة البلاد ولكن لا مندوحة لنا من مؤاخذة اصحاب الاملاك من جهةٍ والمستأجرين من جهة أُخرى . امَّا اولئك فلاستلزامهم حدَّ الاقتصاد حتى تعدَّوهُ فكان من نتيجة تطرُّفهم تلك الحادثة التي تصدَّعت لهولها القلوب وشُقَّت على ضحاياها الجيوب

وقد ذكر لي احد ملتزمي اشغال السكة الحديديَّة الحنك باعمال البناء وجوه الخلل في بناء بيروت فقال : ان ابنية بيروت لا تحتمل تمديد الطبقات التي لا يلزم ان تتجاوز الطبقتين . وسبب ذلك وهن الحيطان وسبب وهنها اولاً قلة سمكها الذي لا يتجاوز ٢٥ سنتيمترًا . وثانيًا وهن الحجر نفسهِ الحاصل من جمالهم وجه الحجر الخارجي صقيلًا متنًا بين يكون وجههُ الداخلي كثير الخادم فيسدونها بشظايا الحجارة . ولمَّا كان معظم الثقل مرتكزًا على ذلك الوجه فلا يتم ان تتفتت تلك الشظايا فيحصل بعض التخلخل في الحيطان . والمهندس المذكور لا يكاد يصدق قوام البناء وصبره مع وجود هذا الخلل لولا تمتّن الحجر الرملي للملاط الكلسي فتصلح خاصيَّتهُ هذه فساد البناء . وعليه فاذا نقص ذلك الملاط او كان فاسدًا وكان الاساس ضعيفًا فلا يتم ان يتضعضع البناء . واذا زاد الثقل مع ذلك بزيادة الطبقات هبط البناء لا محالة وكفى بما حدث عبرةً

ومَن تحرَّى نتائج اقتصاد الملَّاكين وجد ان منهُ اضرارًا أُخرى قلَّما انتبه اليها احد لانها تتعلق بالفقراء والعملة الخاملين اعني بذلك تلك المساكن المعروفة " بالاحواش " حيث يأوي زمرة الصنَّاع المساكين . ولمَّا كان هؤلاء أحوج الناس الى صحَّتهم والى اتخاذ الوسائل لحفظها من حيث انهما رأس مالهم الوحيد كان من الضروري مراعاة قواعد الصحة العموميَّة في مساكنهم . امَّا الواقع فبخلاف ذلك لان الاحواش التي يسكنونها قد اصبحت منبتًا لجراثيم الامراض وعوامل فساد الهواء فترى البناء يُطيف بالجهات الاربع فيمتنع تجديد الهواء . والغرف ضيقة على ساكنيها وهي على سواء الحضيض او ادنى فتتحلَّب الرطوبة اليها فضلًا عن خلوّ منافذها من المغالق المزجَّجة فيتعذَّر فتحها في ايام الانواء والامطار . امَّا مراحيضها فقد أُفعمت أقذارًا وبعثت روائح افسدت الهواء ناهيك عن ماء آبارها الأجاج وميكروبات الامراض والنفايات التي تطرَّقت اليها . واذ كان ذلك كذلك ألم يجدر باولئك الملَّاكين الذين يتقاضون من اجور احواشهم مبالغ وافرة ان يطلقوا مجالًا للهواء بدلًا من ان يمنعوهُ من كل الجهات ويرفعوا موطئ

البيوت عن الحضيض منعاً للرطوبة مع إضافة المَالق المزجَّجة الى المَالق الخشبيَّة وردم الآبار واستبدالها بماء نهر الكلب وجعل المراحيض في حال تزول معها على الاقل الانبعاثات المرضيَّة الى غير ذلك من الاصلاحات الصحيَّة التي تقضي بها الانسانيَّة فضلًا عن القوانين المدنيَّة ؟ ومن زار تلك الاحواش وتفقدها مثلما فعلنا حكم ان هذه الاصلاحات اقلُّ ما يجب عملهُ

هذا من حيث المساكن الوضيعة . واذا تفقَّدنا البنايات المؤنقة الرفيعة وجدنا فيها مغامز شتى منها اطراح طَرز من البناء كان مألوفاً في المنازل القديمة وهو غاية المطلوب من حيث الرونق وموافقة الصحة اعني به الرواق حول المسكن او في احدى جهاته فانهُ ما عدا الرونق الذي يلحق بالبناء من اتساع حناياهُ ورشاقة اسطوانها قد يصلح في الشتاء لمنع الرطوبة من نفوذ الحيطان سيما وانها قليلة السمك وحجارتها الرمليَّة كثيرة المسام معدَّة لتشرُّب الماء ويصلح في الصيف لمنع الحرارة من اختراق تلك الجدران فتجد فيه العائلة متفرَّجاً للتنزُّه واستنشاق الهواء . فاذاً كان من وراء الرواق رونق البناء وصحَّة السكَّان فلماذا نبذهُ اصحاب الاملاك ؟ فان قيل لزيادة المصاريف انكرنا ذلك سيما وان المصاريف الطائلة التي تُبذل في سبيل الزخارف النافلة تردُّ ذلك الاعتراض

ثم ان امتصاص حجر بيروت للرطوبة يقضي بابتناء المساكن على اقبية تقوم عليها الطابق الاسفل لان الرطوبة غالبة في الطوابق السفلى المبنية على الارض مباشرةً وبخلاف ذلك المباني القائمة على الحوائت فانها انسب للصحة ومثلها الطوابق العالية . واذا تعذَّر بناء الاقبية فقد تمكن الاستعاضة عنها برفع موطئ المسكن عن الحضيض وجعل مداميك البناء التي فوق الاساس من الحجر الصلب الذي لا يمصّ الرطوبة . ومن ذرائع منع الرطوبة ان تُركَّز الميازيب التي حول ترميد السقف فوق أطناف تطفو على رؤوس الجدران وان تُوصل الميازيب المؤدية للماء الى سواء الارض كي لا يسيح الماء على الجدار وان يُطلى الجداران الغربي والغربي الجنوبي بشيد مؤلف من الكلس المائيّ والترابة الافرنجيَّة لانَّ ذلك افضل من دَهنها بالزيت

بقي اصلاح المرحاض بان يُفصل عن المطبخ لئلَّا تنتشر فيه الانبعاثات والغازات المعروفة ثمَّ بتحويل تلك الانبعاثات الى الخارج ويتم ذلك بان تُستر فوهة المرحاض ويخرق ثقب في السدَّة فيركز فيه طست من خزف لهُ منفذان يحمل للاسفل لماة تسدُّهُ

اما الاعلى فيُصب فيه الماء للغسل وهذا الجهاز موجود بالشكل المشروح في المخازن. غير اني علاوة عليه أُشير بان يُجعل من وراء ذلك الجهاز قسطلٌ مندمج في الحائط طرفهُ الاسفل منفتح من الفوهة فيلتقط الغازات ويؤدي بها الى الخارج من طرفه الاعلى. واذا تمَّت تلك الاصلاحات الزهيدة اصبحت مساكن بيروت في غاية الموافقة للصحة لانَّ التهوية موفَّرة فيها بكثرة النافذة وكبرها واتساع غرفها واستيفائها شروط النظافة كالغسل العام للدار والغُرَف كما هو مألوف في بيروت

واما ما نؤاخذ به المتأخرين فهو سوء استخدامهم للغرف وافراطهم في تنسيق الظواهر ونبذ جوهر المعيشة وتظهر حقيقة ما نقول بالمقابلة بين الافرنجي والشرقي في تدبير كلٍّ لمنزله. فاذا اعتبرتَ افرنجيًا نزيل بيروت تراهُ عند ترتيب لمنزله يجتهد اولًا في تنظيم المحلات التي لها علاقة بالتغذية لان عليها مدار الصحّة وقوام العافية فيصرف جده في ترتيب المطبخ واعداده بالادوات اللازمة لهُ والمحافظة على نظافته وتهويته ثمَّ ينتقي أحسن غرفة في البيت وفي الغالب يكون الديوان فينصب فيها الخوان ويجعلها لتناول الطعام. ثم يعمد الى انتقاء غرفة النوم فيختار اتقن الغرف واكثرها موافقة لشروط الصحّة فيتخذها مضجعًا لعلمه ان الانسان يقضي نحو نصف عمره في غرفة النوم وانَّ النوم الجيد من عوامل الصحة. واذا فرغ من إعداد الغرف اللازمة لاعمال المعيشة المهمَّة يحوّل نظرهُ الى الاعمال الثانويَّة فيختار بما تبقَّى من الغرف بهوًا للاستقبال او يُعِدُّ الدار لذلك. امَّا اذا اعتبرتَ شرقيًا او بيروتيًا (حيث مدار كلامنا على الصحّة في بيروت) في منزلة ذلك الافرنجي فتراهُ مجتهدًا في باديء الامر باختيار احسن الغرف للاستقبال فيصرف قسمًا من ماله على فرشها وتأثيثها ثم يهيّئُ الديوان للاستقبال الاعتيادي ثم يفرش غرفةً ثالثة « اوضة السهرة » ثم يتقن فرش الدار وبما تبقَّى من الغرف يجعل واحدة للنوم وأُخرى لأكل الطعام وقد تكون في الغالب في جوار المطبخ او المرحاض. امَّا المطبخ فلا يعيرونهُ الاهتمام الجدير به

وبالاجمال ان مواطنينا يسعون وراء الظاهر ولا يلتفتون الى الجوهري في المعيشة وقد يظهر ذلك ليس فقط في المسكن بل في بقية اعمال المعيشة كالملبس والترف والمفاخرة في مجالي التنزُّه كل ذلك على نفقة الصحة والتغذية بل وتارة على نفقة اهمّ الواجبات مثل اتخاذ المُرضعات في كثير من البيوت لا لسبب صحي يمنع الام عن الترضيع بل حبًا

بالمكابرة والمفاخرة ولي في هذا الموضوع كلامٌ طويل ساطلقهُ في وقتهِ . فعسى ان ينتبه مواطنونا الى هذا الخلل الصحي في عوائدهم لان العاقل من تدبَّر الامور وتملَّى باجودها ونبذ فاسدها غير منقادٍ لعوائد باطلة امَّا خجلاً وامَّا ضعفاً او تشبهاً بمن زاغ عن محجَّة الصواب فان الفلاح في التشبه بالكرام لا بغيرهم . والكلام الذي نطلقهُ على قانون الصحة قد يتناول بقيَّة اعمال الحياة الاجتماعية في بلادنا

بقي علينا تتمة للفائدة ان نتكلم عن صحة الملبس والطعام وبقيَّة الامور التي لها علاقة بالصحة الافرادية والعمومية في بيروت وسنفرغ لكل من هذه المطالب مقالة في حينها ان شاء الله

نبذة

في تاريخ دير راهبات الزيارة ومدرستهنَّ في عين طورا

لاحد افاضل الاباء اللعازريين

اننا في نبذتنا عن مدرسة عينطورا (راجع المشرق ٣ : ٦٣٨) كنَّا قد ألمعنا الى هذا الدير امَّا الآن فتتميماً للفائدة قصدنا ان نفرد لهُ مقالة خاصة بهِ لاسباب ثلثة : الاول لتأسيسهِ من مؤسّسي ديرنا الذي حولناهُ الى مدرسة كما سبق في المشرق . الثاني للعلاقات التي تربط بنات القديس فرنسيس سالس مع ابناء القديس منصور دي بول اذ عُيِّن هذا الاخير من القديس فرنسيس المذكور مدبّرًا ومرشدًا لراهباتهِ فقام بهذه المهمة مدَّة ٤٠ سنة ولم تزل راهبات الزيارة في كلّ أين يدعون القديس منصور عمًّا لهنَّ . الثالث لقربهِ من مدرستنا والمثل الدارج يقول : جارك القريب خير من اخيك البعيد . وبناء على ذلك نقول :

انهُ لمَّا توطدت سلطة آل الخازن في كسروان اعتنوا في تشييد الاديار للرجال والنساء ومن ثم اخذت النفوس العابدة تتوارد اليها للنسك والعبادة والتفرغ للاعمال التقوية والتدرُّب في سبل الكمال المسيحي . غير ان آباء المجمع اللبناني المنعقد في دير

اللويزة (المشرق ٣: ٤٨٢) رأوا بأسفٍ ان تلك الاديار كانت تخلو من الترتيب والنظام اللازمين للمساعدة على القيام بالواجبات الرهبانيَّة وهذا الخلل كان بنوع خاص في اديار الراهبات. فاوعز حينئذٍ الآباء اليسوعيُّون الى اعيان الطائفة المارونيَّة ان يحثُّوا بتأسيس دير جديد للنساء تحت قانون القديس فرنسيس سالس ووعدوا بانهم يتكفلون بتدبير وارشاد اولئك الراهبات. فاستحسن اكابر آل الخازن هذا الرأي ورفعوا الامر الى غبطة البطريرك الانطاكي سمعان عواد والى أساقفة الطائفة المارونيَّة فنشطوهم على هذا المشروع الخيري وامروهم بالكتابة الى الاب انطون غمبارد (Gambard) على ما قيل لي الذي كان وقتئذٍ رئيس رسالة الآباء اليسوعيين في سوريَّة ليطلعوهُ على رغبهم هذا وطلبوا منهُ تثبيت مقصدهم فاجاب الاب المذكور الى سؤلهم وحرَّضهم على اتمامهِ واعدًا أيَّاهم بكل مساعدة ممكنة. فبيَّنوا اذ ذاك يومًا يجتمعون فيهِ في دير القديس يوسف للمداولة في هذا الامر وكان ذلك في ٢١ نيسان سنة ١٧٤٤ وحضر هذه المداولة المشايخ الخوازنة: حنا وموسى وميلان وصخر وشروان ونوفل وكنعان يتقدَّمهم احد الآباء اليسوعيين وبعد ان تداولوا مليًّا كتبوا صكًّا امضوهُ باسمائهم وفيهِ يتعهدون بتشييد دير للبنات الخازنيَّات لكنْ دون نفي غيرهنَّ من الفتيات واليك بنود هذا الصك:

١ً ان الدير يكون تحت قانون القديس فرنسيس سالس لراهبات زيارة مريم العذراء عليها السلام

٢ً انهُ يكون تحت ولاية السيد البطريرك الماروني الكلي الغبطة

٣ً ان يحفظ فيهِ طقس الطائفة المارونية وان تلاوة الفرض تكون باللغة العربية

٤ً ان الراهبات يتدبرن بالرتبيات ويرشدن بالروحيات من حضرات الآباء اليسوعيين

٥ً ان تحفظ فيهِ عوائد الطائفة المارونيَّة نظرًا للاصوام والقطاعات والاعياد

فاثبت هذا الصك السيد سمعان عواد البطريرك الانطاكي والسادة الاساقفة جرمانوس ستر وطوبيَّا الخازن وجبرائيل عواد وعبد الله حبقوق. وعند ذلك اجتمع المشايخ المتقدّم ذكرهم ثانية في دير القديس يوسف واتفقوا على تخصيص قطعة ارض بقرب الدير المذكور شماليَّهُ لبناء الدير الجديد وبُدئ بالعمل تحت مناظرة الآباء اليسوعيين. وبعد ذلك بسنتين كان كل شيء مهيَّأً لقبول الراهبات الجديدات ففتح الدير الجديد

ابوابهُ للعابدات في اول كانون الثاني سنة ١٧٤٦ ودخلهُ سبع من البنات التقيَّات من آل الخازن وغيرهم وهنَّ:

الاولى: الاخت روزا روزاليا الخازن ابنة الشيخ موسى الخازن وهي التي كانت قائمة بتدبير الدير بصفة رئيسة لكنَّها لم تُعيَّن رئيسة شرعيَّة بانتخاب رسمي الَّا في ١٨ ايار من سنة ١٧٤٩ فقامت بهذه الوظيفة احسن قيام وبقيت فيها الى سنة ١٧٥٢ ثم صارت مشيرة الى سنة ١٧٨١ التي فيهـا انتقلت من هذه الحياة مملوءة اعمالًا صالحة وفضائل سامية

الثانية: الاخت ترازيا من قلب يسوع ديه وهي التي قامت برئاسة الدير بعد الاخت روزا روزاليا الخازن وبقيت في هذه الوظيفة الى سنة ١٧٥٨ ثم توفَّاها الله سنة ١٧٦٠

الثالثة: الاخت لويسه كلاره الخازن ابنة خالة الاخت روزا روزاليا وهي ابنة الشيخ جنبلاط الخازن وكانت بارَّة تقيَّة محبَّة للفقر الرهباني وشديدة التعبد ليسوع المسيح في القربان الاقدس عظيمة الصبر على المصائب والامراض التي شاءت العناية الالهيَّة ان ترسلها لها وقصارى الكلام انها كانت محبَّة بجميع الفضائل المسيحيَّة. قامت بوظيفة نائبة ثم بوظيفة مشيرة مدة طويلة وماتت برائحة القداسة سنة ١٧٨٣

الرابعة: الاخت مريم مجدلانيـة كارولك خوكاز الارمنيَّة وهذه كانت تضاهي المسيحيَّات الاول بايمانها ومحبَّتها لله حتى انها كانت تقع مغشيًّا عليها عنـد سماعها سر حياة مخلصنا الالهي وتفاصيل آلامهِ المقدَّسة وكان الله قد منحها موهبـة الافصاح في التكلُّم بنوع ان كلامها كان يؤثر في القلوب ويجتذب السامعين الى محبَّة الله وعشق الفضيلة والابتعاد عن الشرّ. قامت برئاسة الدير من سنة ١٧٦١ الى سنة ١٧٦٧ ولو لم يصبها الصمم لكانت بقيت حياتها كلها في هذه الوظيفة لان فضائلها السامية ودماثة اخلاقها كانت تحبّبهـا الى الجميع وتقلدت بعد رئاستها عدة وظائف كنائبة ومشيرة ووكيلة وكاتبـة اسرار وكانت عظيمة التسليم لارادة الله في المصائب والامراض الطويلة التي اختبرها بها الله في حياتها ومجمل القول انها كانت مثالًا صالحًا لجميع الفضائل وقانونًا حيًّا لاخواتها الراهبات. توفَّاها الله سنة ١٧٨٨

الخامسة: الاخت مريم انيسا الخازن وهـذه كانت شديدة التعبد لقلب يسوع الاقدس. قامت بوظيفة مشيرة عدَّة سنين احسن قيام وكانت تحسن الخط العربي حتى

انَّ اغلب كتب الدير المحفوظة الى اليوم وخاصَّة الكتب الروحيَّة هي خط يدها. توفَّاها الله سنة ١٧٦٢

السادسة: الاخت مريم اليصابات ملحمه وهذه كانت مشيرة مدة لكنها لكثرة تواضعها كانت تفضل الوظائف الوضيعة المتعبة التي باشرتها حياتها كلها الى ان توفَّاها الله بميتة صالحة سنة ١٧٩٨

السابعة: هيلانة مرغريتا البستاني وكانت مشيرة ثم قلدت الوظائف الوضيعة التي باشرتها بفرح وسرور وكانت شديدة التسليم لارادة الله خاصة لمَّا فقدت بصرها. دعاها الله اليه ليثيبها عن فضائلها السامية سنة ١٧٩٨

وبعد هؤلاء السبع دخل الدير كثير من العذارى اللواتي كُنَّ نفوسهنَّ للعروس السماوي لا نذكر منهنَّ سوى اللواتي تولَّين رئاسة الدير واليك اسماءهنَّ:

الاخت مريم سابينا جاماتي التي رأست الدير ثلاث مرات (١٧٥٨—١٧٦١) ثم (١٧٦٧—١٧٧٣) ثمَّ (١٧٧٨—١٧٨١) ثم صارت معلمة للمبتدئات ومشيرة وهي التي ادخلت عبادة قلب مريم في الدير ثم توفيت سنة ١٧٨٧

والاخت لوسيا تقلا اشتمه التي رأست الدير من سنة ١٧٧٣ الى ١٧٧٨. ثم صارت نائبة ومشيرة وخادمة للمرضى. وهي التي رتَّبت مدَّة رئاستها صلاة الفرض الذي تتلوهُ الراهبات الى اليوم ثم ادخلت عادة منح البركة بالقربان المقدس في كل اول جمعة من كل شهر وكانت وفاتها سنة ١٧٧٩

والاخت برباره جبرائيلَّة مانوك التي رأست الدير مرَّتين (١٧٨١—١٧٨٧) ثم (١٨٠٢—١٨٠٨) ثم أُقيمت مشيرة مدَّة طويلة وكانت وفاتها سنة ١٨١٢

والاخت هيلانة اغاثة ملحة التي قلدت رئاسة الدير مرَّتين (١٧٨٧—١٧٩٣) ثمَّ (١٨١٩—١٨٢٣) وهي سنة وفاتها

والاخت يوسفيَّة تراذيا الخازن ابنة الشيخ ابي شروان الخازن وكانت تقيَّة ورعة محبة للمعيشة الرهبانيَّة رأست الدير ثلاث مرات (١٧٩٣—١٧٩٦) ثمَّ (١٧٩٩—١٨٠٢) ثمَّ من سنة ١٨١١ الى سنة مماتها ١٨١٥

والاخت مريم كونسطاسيا اشتمه التي تولَّت رئاسة الدير مرَّتين (١٧٩٦—١٧٩٩) ثم (١٨٠٨—١٨١١) ثمَّ قامت بوظيفة نائبة ومشيرة عدَّة سنين. توفَّاها الله سنة ١٨٣١

والاخت مريم بريجيتا الالطنجي التي دبَّرت شؤون الدير من سنة ١٨١٧ الى ١٨١٩ ثم صارت مشيرة وبقيت في هذه الوظيفة الى ١٨٣١ وفيها انتقلت من هذه الحياة

والاخت انيا لوسيا مبارك التي قامت بتدبير الدير من سنة ١٨٢٣ الى ١٨٢٩ ثم صارت مشيرة وماتت سنة ١٨٤٨ مستعدَّة احسن استعداد للقاء ربها

والاخت انطونية كاترينا اشقر التي رأست الدير من سنة ١٨٢٩ الى ١٨٣٢ (١

والاخت لوسيا مجدلانية بيراو التي رأست الدير من سنة ١٨٣٢ الى ١٨٣٨ ثم صارت مشيرة وماتت سنة ١٨٥٥

والاخت زيارة كريستينا تيَّان وهذه كانت ذات فضائل راهنة وعبادة صادقة رأست الدير مرَّتين (١٨٣٨–١٨٤٤) ثمَّ (١٨٤٧–١٨٥٣) ثم باشرت جميع الوظائف كتابة ومشيرة ومعلمة المبتدئات ووكيلة ورافهة الخ. امتحنها الله بامراض شاقة احتملتها بصبر جميل ثم دعاها اليه ليكللها في اخداره السماويَّة سنة ١٨٥٩

والاخت انجليكا بادوانية ثابت التي رأست الدير من سنة ١٨٤٤ الى ١٨٤٧ وهذه كانت فاضلة تقيَّة توفَّاها الله سنة ١٨٥٣

والاخت مريم مرغريتا باخوس التي رأست الدير ثلاث مرات (١٨٥٣–١٨٥٦) ثم (١٨٧٧ – ١٨٨٣) ثم (١٨٩٥–١٨٩٨) وهي باقية في قيد الحياة الى اليوم تمارس بنشاط وتدقيق قوانين رهبانيَّتها رغمًا عن ثقل السنين ووطأة الامراض

والاخت امانة فيلومينا الدحداح التي رأست الدير اربع مرات (١٨٥٦–١٨٥٩) ثمَّ (١٨٦٢–١٨٦٨) ثم (١٨٧١–١٨٧٧) ثمَّ (١٨٨٦–١٨٨٩) وبعد ان ادَّت خدمات

١) ثم صارت مشيرة وهي التي اختارها السيد البطريرك يوسف حبيش والمطران يوسف الخازن رئيس اساقفة دمشق السيدا الذكر لتأسيس دير سيدة البشارة لراهبات الزيارة ايضًا في زوق ميكائيل فطلباها مع راهبة اخرى تدعى مريم صابات غانم من رئيسة الدير التي كانت وقتئذٍ الاخت لوسيا مجدلانية بيراو فأسَّست مع رفيقتها المذكورة الدير الجديد في زوق ميكائيل وذلك في حزيران من سنة ١٨٣٦ تحت تدبير الآباء اليسوعيين الافاضل وبعد ان رتبت كل شيء واجرت القوانين المقدسة فيما بين الراهبات انتقلت من هذه الحياة نحو سنة ١٨٦٠ تاركة بعدها رائحة القداسة وذكر فضائل سامية حفظ لها راهبات ذلك الدير ذكرًا مخلَّدًا. وبعد وفاتها باربع سنوات توفيت رفيقتها الاخت صابات غانم بعد ان كانت وطدت روح الرهبانيَّة وحب العيشة المفردة بين اخواتها. وهذا الدير لم يزل مزهرًا بالفضائل الى اليوم يسكنهُ نحو من ثلاثين راهبة ينتمين الى قانون القديس فرنسيس سالس لراهبات زيارة مريم العذراء

جليلة الدير انتقلت من هذه الحياة الفانية لتنال اجر اتعابها وفضائلها سنة ١٨٦٥

والاخت لوسيا تقلا جباره وهذه كانت مزيَّنة بخصال حميدة وفضائل شتى رأست الدير مرَّتين (١٨٥٩—١٨٦٢) ثم (١٨٦٨ —١٨٧٠) وهي سنة وفاتها وتُقلدت في حياتها عدَّة وظائف منها وظيفة معلّمة المبتدئات ووكيلة وخادمة المرضى الخ

والاخت زيارة مجدلانية ثابت التي رأست الدير من سنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٢

والاخت انيسة تاودورا زغيب التي عُيّنت رئيسة سنة ١٨٩٢ وبقيت في هذه الوظيفة الى سنة ١٨٩٥ . وهاتان الاختان اعني زيارة ثابت وانيسة زغيب لا تزالان مجدَّتين في السعي وراء فضائل دعوتهما المقدَّسة محافظتين بحرص على قوانين رهبانيَّتهما

والاخت انجيليكا الرئيس وهي الرئيسة الحاليَّة المتفانية في تقدم الدير ماديًّا وادبيًّا الساهرة بهمَّة ونشاط على مراعاة قوانين جمعيَّتها المقدَّسة ولها في هذه الوظيفة من سنة ١٨٩٨ وقد بدأت في اوائل السنة المنصرمة بتوسيع نطاق الدير اذ اكملت قسماً كبيرًا من الحصن الذي كانت بدأت ببنائه الاخت مريم مرغريتا باخوس سنة ١٨٩٦ وباشرت ايضًا بزيادة قسم الدير الجنوبي على طرز جميل متقن وكل ذلك بهمَّة ومساعدة حضرة الاب الجليل الخوري يوسف الياس صنير احد اساتذة مدرستنا في اللغة العربيَّة الذي عيَّنهُ الطيب الذكر المغبوط البطريرك يوحنا الحاج سنة ١٨٩٣ مرشدًا روحيًّا لهنَّ ومديرًا لمدرستهنَّ الآتي ذكرها

امَّا الدير المذكور فهو بقرب مدرستنا شماليها لا يفرق عنها سوى الطريق فقط وهو طابقان يسكنهُ اليوم نحو ثلاثين راهبة يحيط بهِ بستان متقن تنبت فيهِ الاشجار المثمرة اليانعة والبقول الخضراء. وفي شرقيهِ توجد الكنيسة القائمة على اسم قلب يسوع وعن يمين المذبح الكبير هيكل لزيارة مريم العذراء للقديسة اليصابات وعن يساره هيكل آخر للقديسة يوحنه فرنسيسكا دي شنطال ويوجد في صحن الكنيسة لجهة الجنوب هيكل لسيدتنا مريم العذراء. وهذه الكنيسة جميلة متينة الجدران في وسطها قبَّة كبيرة مستديرة يعلوها صليب وعليها قبَّة جميلة للجرس

وامَّا المدرسة فكانت باديء بدء مدرسة خارجيَّة اسستها راهبات الدير المشار اليهِ لتعليم البنات مبادئ القراءة وقواعد الديانة سنة ١٨٤٤ مدَّة رئاسة الاخت انجيليكا بادرانيَّة ثابت ثم حوَّلنها الى مدرسة داخليَّة لاجل تربية البنات وتهذيبهنَّ على سنن

الآداب والفضيلة سنة ١٨٥٩ اي في مدة رئاسة الاخت لوسيا تقلا جبارة الفاضلة التي اعتنت ببناء محل لائق لذلك شمالي الدير وفي المدرسة تتعلّم اللغتان العربيّة والافرنسيّة بفروعهما والجغرافيّة والحساب والاشغال اليدويّة كالخياطة وما يدور عليها من الرتق والتطريز والزركشة مع فنّ الموسيقى (البيانو). وتحسّن نظام هذه المدرسة مذ كانت في الدير المذكور بعض الراهبات الافرنسيّات المنضمات الى قانون واحد وكنّ اربعاً اثنتان وهما الاختان ماريا هيأسنة دي روزيه (S^r Marie Hyacinthe de Rosier) وماريا منوال ڤيال (S^r Marie Emmanuelle Vial) اتتا الدير من ليون سنة ١٨٦٩ صحبة الاخت مريم مرغريتا باخوس التي كانت ذهبت الى فرنسة مع ثلث من اخواتها الراهبات سنة ١٨٦٥ واثنتان اخريان اتتا من دير ليون ايضاً سنة ١٨٧١ وهما الاختان ماري تارازيا دي شنطال شاليمو (S^r Marie Thérèse de Chantal Chalumeau) وماري اغناطيوس بورجوا (S^r Marie Ignace Bourgeois) وبعد هؤلاء الاربع اتت راهبة اخرى من تاليار واسمها لويزة بلاندين برتران سان مارتان (S^r Louise Blandine Bertrand S^t Martin) وبعد ان مكثنَ مدةً بين اخواتهنَّ السوريّات رجعن الى اديرتهنَّ في فرنسة حسب قانون هذه الرهبانيّة وكان عدد الطالبات وقتئذٍ من عشرين الى خمسة وعشرين الّا انهُ في الآونة المتأخرة أربى عددهنَّ على الستين ابنة ذلك بهمّة الخوري يوسف الياس صغير الذي يدبّر شؤونها بغيرة ونشاط وبعناية الرئيسة الحاليّة والراهبات الفاضلات قدّرهن الله الى ما بهِ مجدهُ وخير القريب وقد اشتهرت بنات هذه المدرسة بعذوبة روحهنّ وحسن تهذيبهن وترتيب بيوتهن

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

غير انّ راحيل تذكرت نصائح الاب يوحنا فلزمت السكوت. وبينما المغزل يغني والدولاب يدور وقت رواية اختها لهذه الفجائع تصوّرت ان زوجها زيناً يشبه رجلاً ميتاً

وان دموعها لا بدَّ ان تتساقط ايضاً لمدَّة طويلة على صدره البارد حتى تهتدي نفسهُ الى طريقها وتعود اليها لتعزيتها

فلمَّا فرغت حنَّة من كلامها التفت زين الى راحيــل فرآها ترتعش فظن ان ذلك ناتج عن الخبر الفاجع الذي سمعتهُ غير ان تلك القرينة المنكودة تركتهُ على ظنهِ الذكور كاتمةً عليهِ محنتها

ومنذ ذلك اخذت تسير سيرة جديدة فكانت حنَّة تتبرَّج بزيَّة بسيطة باجمل الحلل غير ان راحيل كانت تتخذ اسذج الملابس عادلةً عن منافسة شقيقتها

ومع كونها سيدة المنزل لم تكن تتردَّد في كل فرصة عن ان تتنازل لشقيقتهــا بل لحصيتها عن المحل الاول راغبةً ان تكون هي في كل شيء نسياً منسياً ولهــذا كانت عند ما ترى زيناً وحنة يتمشيان في فناء القصر متحدثين تمتنع عن الاختلاط بهما او ان تأتي بطفلها الصغير كما كانت عادتها من قبل حتى تنبّه قرينها بحضورها إلى اعراضهِ عن واجباتهِ المفروضة بصفة كونهِ والداً وزوجاً

وفي كثير من الاوقات كانت تقيم اياماً في غرفتها دون ان تخرج منها مع انهــا كانت قبلاً تنساب كالظل في غرف القصر وتنتبه لكل حركة واشارة من زين لتسرع الى تلبيتها غير ان زيناً كان مشغولاً عنها بما انغرس في قلبهِ من الميل الى شقيقتها . وكما ان الهواء المحيط الذي نحن غائصون فيهِ يأذن لنا في الحياة دون ان نشاهده وكما ان الملائكة المكلفين من قبل المولى بحراستنا والسهر علينا لا يظهرون لنا وجودهم هكذا راحيل المنكودة ما زالت تعيش بكليتها لقرينها عاطفةً عليهِ بحبتها غير انها كانت هذه المرأة تحرص كل الحرص على كتمها بقدر حرصها قبلاً على افشائها

ومن ذلك الوقت لازمت القيام بواجباتها الزوجية بصفة قرينة ووالدة وهي صابرة صبر المسيحيَّة الحقيقيَّة على نكدها مشيرةً بذلك الى قبولها عن طيبة نفس بعدم مبالاة زوجها . ولم يكن زين ولا حنة يعرفان اي شيء . يختفي تحت ذلك المظهر الهادئ من الزوابع والقلاقل الباطنة

واما حنة فما فتئت على حالها الماضية مع زين غير عالمة بما تسبّب لشقيقتهــا من النكد الباطن ولا ريب انها لو عرفت شيئاً من ذلك لآثرت ان تبتعد عن قصر البترون ابتعاداً ابديًّا

وعليهِ فلم يكن احد مطلعًا على داخليَّة راحيل سوى راحيل وحدها غير انها عملًا بنصائح الاب يوحنا حافظت على كتم محبَّتها ولو اورثها ذلك اشد الحزن واغزر الدموع

٥

من يستطيع ان يصف المعارك الباطنيَّة التي خاضت غمارها هذه القرينة المُحِبة لبعلها والمحافظة على تمام الامانة لهُ ولم يشهدها غير الله تعالى وملائكته ؟ . . . دامت هـذه المعارك أيامًا بل اسابيع تخيَّلتها راحيـل المنكودة ادهارًا طويلة . غير ان ما طُبعت عليهِ من الرصانة وعزَّة النفس كان يحملهـا على كتم ذلك كلهِ وعدم افشاء شيءٍ منهُ

ولكنها في ذات يوم اشتدَّت عليهـا وطأة الحزن فبكت وانتحبت ووقعت على الارض من اليأس والجزع وكانت تتوهَّم انَّهُ ليس من خليقة بشريَّة تقوى على احتمال ما احتملتهُ هي مدَّة طويلة من التنغيص والمرارة . فلمَّا خفَّف الدمع موقتًا حدَّة بلواها انتصبت قائمةً وجلست عند الشباك تنظر الى الشمس الشارقة التي كانت ترسل اشعة ظافرة على الارض المتلالئة نورًا . وكانت قد بكت كثيرًا فلم تقوَ الشمس على ان تؤثر في عينيها اللتين اضعفتهـا غزارة الدمع

وكان ذلك في الصباح ولا شيء اشهى واحسن من منظر لبنـان في السـاعات الاولى من النهار لان الظلال تكون في مثل هذا الوقت منبثَّة على طول سفوح الجبال بينما تكون القمم والروابي قد تعمَّمت باكليل من الاشعَّة الذهبيـة التي ترسلها الشمس الشارقة وأنجزة الفضاء . شفَّافة ترى العين من ورائها قمم الجبال البعيدة فما احسنهُ منظرًا جمع بين اللطافة والعظمة . كيفما التفتت الباصرة تشاهد هنا غياضًا ملتفَّةً وهناك اشجارًا متفرّقة تختلف ألوانها بين اخضر ناضر واسمر قاتم . وممَّا يزيد المشهد جمالًا وجود القرى العديدة معلَّقة في سفوح الجبال الشامخة . أجل انَّ في الدنيا جبالًا تعلو لبنان ارتفاعًا غير انهُ ليس فيها ما يكون لمجموعهِ مثل هذا المنظر البهيج عند شروق الغزالة

وكان اذ ذاك قد دخل فصل الصيف وتفرَّق الحصَّادون في السهول يحصدون مـا تعبوا في زرعهِ من الحنطة وغيرها من انواع الحبوب . وكانوا ينشدون الاغاني ويترنَّمون بها فرحين طربين فلمَّا سمعتهم راحيل هتفت من اعماق قلبها قائلةً :

« سعدًا لهم مـا احسن حالهم فانهم تحت حرارة الشمس المحرقة يترنمون بالاغاني

ويجنون القوت لاشقياء الحظ . ومع ما هم عليه من العناء وما يتصبب من ابدانهم من العرق هم يسعدون ولا صوت غير صوتي وحده يعكر صفاء السعادة »

ثم انها انقطعت عن الكلام هنيهة لانّ الطبيعة قد ضمّت فرحها وابتهاجها الى حبور الحصَّادين وسرورهم فكانت الاشجار والادغال والسهول متسربلة باجمل اثوابها والاطيار تناغي العالم الخلّاق بتناريدها وراحيل تسمع ذلك باصغاء ومزيد انتباه وكانت قد كفّت عن ذرف الدموع وداخلها شيء من السرور فسالت على شفتيها الذابلتين ابتسامة لطيفة مختلطة ببقيّة من الحزن . ثم انها رفعت رأسها وتطلّعت فشاهدت على الطريق وراء الاسوار امرأة فقيرة تحمل طفلًا لها صغيرًا وكانت المرأة وطفلها لابسين أخلاقًا من الثياب غير انها كانت مع هذا كله تضحك مسرورة لولدها وولدها يداعبها ويتدلل عليها مجبورًا بها . وحينئذٍ اغلقت راحيل شبّاك حجرتها وترلت من قصرها ذاهبة الى حيث رأت المرأة وولدها فخاطبتها قائلة :

من اين انت ايتها المرأة فاني اراكِ فقيرة شقيّة

— كلّا ايتها السيدة الشريفة اني بحمد الله سعيدة وفي عمري ما حسدت احدًا على راحة او غنى . وعندي ولدي هذا فهو كفايتي وسعادتي

— لماذا اذًا تجلسين وحدكِ تحت هذه الشجرة ولا تدخلين الى المدينة او بالاقل تقتربين من هؤلاء الحصَّادين الذين يترنمون بالاغاني المفرحة

فارتها المرأة حينئذٍ اطارها ثم اجابتها بلطافة وعذوبة قائلة :

ولماذا أعان شقاني لمن يحلمون الغنى ويفتكرون بالثروة . لا يصلح ان يكون مقامي الّا بين هذه الاشجار الوضيعة والطيور الوَجِلة . وحضرتك اعلم الناس ان الشقي يتوارى تحت ظلّ بيتِه وبالكد يجسر على ان يمدّ يده بينا ان اصحاب الثروة يجولون أيان شاؤوا . واری ان سعادتي هي في ان انظر الى سعادة الآخرين . وهذه معظم عزائي وسلواي

— ولكن ألا تحزنين من مقابلة شقائك بسعادة غيرك ؟ الا ينجرح قلبك من الفقر الذي هو اعظم البلايا عندما ترين الكثيرين رافلين بملابس الغنى مائسين بثياب الكرامة والثروة

— كلّا ثمّ كلّا بل ان عندي لتجربة الجسد علاجين لاني انظر الى البلايا التي لم

أُصب بها فاشكر الله على نجاتي منها وبعد ذلك افتكر في الخيرات الباقية لي. ثم انها حدّقت البصر في ولدها وهمست بصوت خفي قائلة: «ألا انَّ الباقي لي ما هو ألا تز يسير»

— وهل تكفي هذه الافكار لتعزيتكِ

— ان هذه الافكار توليني في الغالب تعزية فان لم تقوَ على ذلك استعمل علاجاً آخر اي الانشراح والبشاشة

— وكيف تتكلّفين الانشراح في حالتك الفقريّة ؟

— ثقي بصدق كلامي لانهُ اي فائدة اجتنيها من روّية الاشياء بلون اسود قاحم. واذا كان بعض النـاس يقنطون ويتصوّرون المستقبل قاتماً ،ظلماً بالمصائب والرزايا التي يتحمّلون سلفاً مرارتها فانا اتا بقادرة على ان اعمل عملهم الذي يفني الجسم ويضعف العقل ولكني اترجّى الخير دائماً ولا ارى في المستقبل غير السعادة وهــذه هي الطريقة التي انتهجتها لاحتمي بها من المصائب والنكبات واذا كان الصبر على غيَر الدهر افضـل الوسائل لتخفيف شدتها وتمّل وطأتها فاعلمي ان الانشراح والجذل عند إلمامها هو بمثابة الارتفاع عليها

واذ كانت راحيل تمسح الدموع التي بلّلت عينيهـا اتمت الفقيرة كلامها قائلة: «وانا كذلك قد طالما بكيت امّا الآن فــا عدت اعرف البكاء. لان منظر ولدي أنساني الدموع. على ان كثيراً من الامهات تُحرمن مثل هذه التعزية فالافتكار في شقائهن يثنيني من التأمل طويلاً في نحس طالعي لانهُ لا شيء. مثل الشفقة والتأثر لمصائب الآخرين يقوّي المرء على احتمال ما يحلّ بهِ من الرزايا

فلمأ سمعت راحيل هذه الحكم اخذت تتأمل في معناها وبعد ان نفحت الفقيرة ببعض النقود اعانة لها على تحسين حالتها قالت لها: «اشكرك كل الشكر على هــذا الكلام المسجدي» وخطر لها في الوقت نفسه ان تسأل تلك الفقيرة عن نسبها لانهـا رأتها ممتلئة من الحكمة بالرغم عمّا لحق بها من الرزايا والمحن وكانت تمتقد بعدما سمعت من كلامها انها ليست مرأة اعتيادية. غير ان ما طُبعت عليهِ راحيل من الرصانة والوقار صدّها عن استفهامها عمّا كانت راغبةً في علمهِ ولم تشأ ان تفتح لتلك الغريبة جراحاً قد اندملت. ثم افتكرت في كلام الفقيرة من انها كانت سعيدة وتجهل الحسد الذي هو في

الناالب رفيق الشقاء والضيق فقالت في نفسها يا لله كم تستر الاخلاق من نفوس ابيَّة وكم بين الفقراء من قوم يفضلوننا كثيرًا نحن الذين قلّما نتنازل للالتفات اليهم »

وعادت بعد ذلك الى القصر ولمّا وصلت الى تحت الاشجار الغبياء التي في الحديقة ضاعفت الطيور تغاريدها كأنها تستقبل بالحان الانتصار هذه القرينة الحزينة

وبعد ان جلست على حافة فسقيَّة من المرمر اخذت تقول بصوت خفي: « فلننسَ نكباتنا مقابل نكبات الآخرين ولنكف التحيب والشهيق بازاء نحيب الغير وشهيقهم. ألا يا فضيلة الشفقة المقدَّسة اعينيني على ان انسى اوجاعي حتى لا افتكر الّا باوجاع الغير »

ثم انها انتزعت من اصبعها خاتمًا من الذهب مرصّعًا بالالماس وقالت: « اذهبي عني يا تذكاراتي المزيَّنة. تبدَّدي من وجه العزيمة التي صمَّمتُ على انجازها. اذهبي وخفّفي شقاء الذين كانت كبريائي تمنعني من النظر اليهم والتفطن لنكباتهم. بيني عني حتى لا تسترخي هذه النفس التي أُريد ان تكون قويَّة وصبورًا على كبار المحن البشريَّة فلتضمحل المحبة بازاء الشفقة ولتهتمَّ نفسي بتعزية الغير وتضميد جراحهم بدلًا من ان تتشاغل دائمًا في سبر غور كلومها الباطنيَّة

مطبوعات شرقية جديدة

سلّم العبادة

استخرجهُ من اللغة الفرنسيَّة القس رافائيل جبري السرياني

طُبع في المطبعة الشرقية في الحدث سنة ١٩٠١ (ص ٢٧٦ بقطع صغير)

اتحفنا حضرة الاب الفاضل القس رافائيل جبري بهذا الكتاب التقويّ الذي يتضمَّن عدَّة صلوات وتأملات ورياضات مقتطفة من كتب آباء الكنيسة ومعلّمي السيرة الروحيَّة. وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام فالقسم الاول يشتمل على تأملات في آلام السيد المسيح وسرّ قربانهِ الاقدس. والقسم الثاني يختصّ بالتعبد للبتول الطاهرة مريم ام الله. امّا مدار القسم الثالث فعلى رياضات شتى وصلوات متنوّعة يليها مناجيات وعواطف اكثرها للقديس الجليل مار اوغسطينوس. فنشكر لحضرة المؤلف همتهُ اذ قرَّب لفهم

المؤمنين الشرقيين هذه الكنوز الصالحة التي كانوا يجهلون معظمها ونتمنى ان تكون لالبابهم سلّماً يرقون بها الى ذروة العبادة وقمّة الكمال

اطيب الفكاهات في اربع حكايات

اودعنا هذا الكتاب اربع حكايات كنّا نشرناها تباعاً في المشرق في سنتهِ الثالثة فجاء مجموعاً حسناً يأنس بمطالعتهِ اهل المدارس. ومن خواص هذه الحكايات انها تدور على مواضيع تاريخيَّة تمثل رجالاً اتخذوا الفضيلة دينهم والفضل ديدنهم فيدعون القرّاء بلسان حالهم الى ان يحذوا حذوهم ويرتشدوا بامثالهم

INSEGNA SACRA

CREATA DAL SOMMO PONTEFICE LEONE XIII

per i pellegrini Cattolici in Terrasanta, *Gerusalemme*, 1901

وسام الاراضي المقدسة

هي كرّيسة بالايطاليَّة تبشّر كل زوار الاراضي المقدسة بان قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر رخَّص لرئيس حضرات الاباء الفرنسيسيين الاكبر في القدس الشريف ان يمنح باسم الكرسي الرسولي كلُّ من زار الاماكن المقدَّسة من اي جنس واي بلد كانوا نوطاً يحملونهُ في الرتب الدينيَّة ويكون لهم كتذكار لزيارتهم للمحال المقدّسة باسرار وحياة ووفاة المسيح وذلك مقيَّد ببعض الشروط تراها مدوَّنة في الكراسة المذكورة. وفيها ايضاً وصف النوط السابق ذكرهُ والبراءة البابويَّة المؤذنة بذلك. فعسى هذه النعمة الجديدة تزيد في قلوب المؤمنين الرغبة في زيارة الاراضي المقدسة لينعشوا في قلوبهم المحبة نحو فادي البشر

شذرات

عاديّات فلسطين قد جمع صاحب العزَّة اسمعيل بك مدير المعارف في القدس الشريف ما اكتشف عليهِ العلماء الاجانب لاسيَّما الدكتور بليس من العاديَّات في فلسطين فافرد لها ست حُجَر في المدرسة السلطانيَّة التي مقامها بازاء الباب المعروف بباب هيرودس ليس بعيداً عن مدرسة القديسة حنة للاباء البيض ونظمها هناك على احسن طريقة فالحجرة الاولى تحتوي على نيّف ومئة قطعة من الخزف والعاديات

التي سبقت عهد بني اسرائيل . والحجرة الثانية مختصة بالآثار اليهوديَّة التي تبلغ ١١٦ قطعة . والحجرة الثالثة تتضمن عاديَّات عهد السلوقيين وعددها ١٧٤ مثالا وفي الحجرة الرابعة تماثيل بشريَّة وحيوانيَّة ومصوغات من الشَّبَه والحديد وتصاوير حجريَّة وعظميَّة . امَّا الحجرتان الاخيرتان فقد أُودعتا الحجارة الكريمة والمسكوكات والنقود واشغال الزجاج. والغاية من اقامة هذا المتحف الصغير ان يجد العلماء في القدس الشريف ندحةً لدرس تاريخ بلاد فلسطين منذ زمن الكنعانيين الى ايام الدولة الرومانيَّة . وان شاء الله ستُنشر عمَّا قليل قائمة العاديَّات المصونة في هذا المتحف

احتجاج ❊ اخذنا العجب ممَّا نسبتهُ الى المشرق المجلةُ الكتابيَّة في عددها الاخير (Revue biblique, Juillet 1901, p. 489) حيث قالت ان حضرة الاب لامنس انكر صحَّة التقليد المختصّ بتجلي السيد المسيح على جبل تابور(١. والصواب ان الاب المومأ اليهِ لم ينكر ذلك بل بخلاف الامر صادق على قدم هذا التقليد وتواتره . وانَّما انكر فقط كون الانجيل دوَّن اسم تابور كما كان اثبت ذلك جناب فضل الله ابوحلقة في كتابهِ جغرافيَّة سوريَّة (راجع المشرق ٣ : ٧٥١)

فسيفساء قديمة ❊ بينا كان احد يهود القدس يحفر لهُ بئرًا في غاية آذار المنصرم في ارضهِ الواقعة غربي شماليّ باب العمود اذ عثر على فسيفساء قديمة طولها ٥ امتار و ٧٠ سنتيمترًا في عرض ٣ امتار و ٢٠ س تمثل اورفاي إله الموسيقى عند اليونان وهو يدقّ بزهرهِ دقًّا يطرب لهُ اهل السماء والبشر والسباع . وتحت هذه الصورة صورة اخرى تمثل امرأتين بينهما منارة كُتب اسمهما باليونانيَّة وهما تاودوسيا وجيورجيا وعلى جانبيهما صفيحتان كصفائح القبور . وفي اسفل الفسيفساء ثلاث صور صغيرة . صيَّاد ثم اسد ثم ضبع . وهذه الفسيفساء ملوَّنة بالوان ناصعة وهي غاية في الدقَّة والاتقان . ويظن حضرات الآباء الدومينيكيين الذين وصفوها وصفًا محكمًا انها من الشغل البوزنطي . امَّا الرموز التي فيها فهي مستعارة من رموز الوثنيين للدلالة على الدين النصراني ومثلها

(١ وهذا نصَّهُ : Tout récemment encore le R.P. Lammens S. J. déclarait ne pouvoir admettre la Transfiguration au Thabor (*El-Machriq* 1900 p. 751) et ne paraissait pas convaincu même qu'il existât une tradition ecclésiastique à ce sujet.

كثير في داميس رومية والارجح ان هذه النسيفساء تدلُّ على مدفن لسيدتين ولعلهما قديستان كما يستدلُّ عليه بتاج النور الذي يكلّل هامتَيهما. امّا تاريخ هذا الاثر الجليل فمجهول فان الدكتور شيك (Schick) يرقيه الى القرن الثاني او الثالث للميلاد. امّا حضرات الآباء الدومنيكيين فيرتأون انهُ من القرن الخامس او السادس لما بين نقوشهِ والنقوش البوزنطيَّة الشائعة في ايَّام الملك يوستينيانس من الشبَه

عاديَّات صيداء كثيراً ما لهجت الالسن باكتشاف العاديَّات الفينيقيَّة التي وُجدت مؤخرًا قرب صيداء فلم نرَ مندوحة عن ذكرها. والآثار المذكورة وُجدت قرب العلاليَّة بجوار صيداء في بستان يعرف ببستان الشيخ يخصّ صاحب السعادة نسيب بك جنبلاط وهي عبارة عن بقايا هيكل ابتناهُ احد ملوك صيداء اسمهُ «بد عشترت» ولهذا الملك كتابة يذكر فيها بناء الهيكل ويدعو نفسهُ بحفيد اشمون عازار. ولمَّا كان لصيداء ملكان باسم اشمون عازار يرجّح انهُ حفيد الثاني. ولهذه الكتابة شأن كبير في تعريف سلسلة ملوك صيداء وتاريخهم. وهي ترتقي الى القرن الخامس قبل المسيح. وللدكتور جول روڤيه مقالة في هذا الصدد سنختصرها عمَّا قليل ان شاء الله

نصيحة لوجه الله هذا عنوان قصيدة عامرة الابيات مبتكرة المعاني فصيحة الالفاظ اتحفت بها الكلية الاميركانية طلبتها المعروفين بحسن صفاتهم وطهر آدابهم تحرّضهم بها على مواصلة سيرتهم الحميدة لانهم مهما صنعوا من الفواحش واقترفوا من الآثام (وهذا يوافق مبدأ اشاع لوتاروس انَّ الاعمال الصالحة لا تجدي نفعًا) هو كلا شيء بالنسبة الى الاتصاف بصفة الجزويت. ونقتطف من القصيدة المذكورة التي طُبعت في البرازيل (كذا) احسن ابياتها ليقف القرَّاء على صدق مقالنا:

كُن كما شئت كافرًا او ردِيًّا او لئيمًا او زانيًا او دنيًا
او خبيثًا او قاطع الطرق او زير نساء او جاهلًا او عييًّا
او. او. او بليدًا بلا شعور وفكر ليس يحوي من التعقُّل شيًّا
او رذيلًا بلا مقام جحودًا نبذ الله ربَّهُ ظهريًّا
او. او. او زعيم اللصوص امهرَ لصٍّ او رئيس الزعران او حوذيًّا
او مقلِّيًا بيَّاع كعكٍ وجبنٍ او مدير الحمير او قهوجيًّا

او قليل البارات مسّاح بريا دأبهُ النهب بكرةً وعشيًا
او . او . او كثير الخداع واللؤم والغشّ م وسلب الاموال او بربريًا
كلّ هذه الصفات والله خيرٌ لك من ان تكون جزوبتيًا

فصحّ بذلك انّ الكليّة الاميركيّة لا ينقصها شيء من اسباب الكمال لكنّ جسمها والحمد لله خال من الميكروب الجزويتي الذي والحقّ يُقال لا يجتمع مع الميكروب البروتستاني الّا يلتهمهُ ويلاشيه

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاخ الفاضل جراسيموس الراهب الملكي الحلبي لاي سبب قيل للجمعة الثالثة الواقعة قبل الصوم الكبير جمعة المخالفين

جمعة المخالفين

ج دعا الروم الجمعة الثالثة التي تسبق الصوم باسم المخالفين لانهم لم يصوموا فيها صوم نينوى الذي يصومهُ الارمن والسريان والكلدان وكانوا يزعمون انّ هذا الصوم بدعةٌ ابتدعتها تلك الطوائف مخالفةً بذلك سُنن الكنيسة فنبذ الروم ذلك الصوم وعدّوهُ رجسًا ولذلك يجوز في تلك الجمعة اكل اللحم عندهم حتى يومي الاربعاء والجمعة . وقيل غير ذلك (راجع كلندار الكنيستين للاب نيلس اليسوعي الجزء الثاني ص٣–١٢)

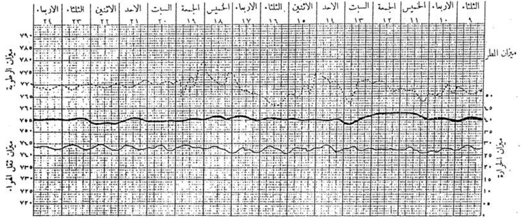
س وسأل احد ادباء البترون من اين تأتي الزيت البلدي رائحتهُ الزَّنخة وطعمهُ الدَّنِه

الزيت البلدي رائحتهُ وطعمه

ج سببُ ذلك الاختمار الذي يحدث في الزيتون عند جمعهِ وتكديسهِ . ولو عصر الاهلون زيتونهم سريعاً بعد القطف لكان زيتهم طيّب الرائحة حسن الذوق

☆ تصحيح بعض اغلاط طبعيّة ☆ الصفحة ٢٣٩ س ٧ « الالاتية » صوابهُ « الآتية » وفيها س ٩ « الاختصار . . . الجنّة » ص « الاختصاص . . . الجنّة » = ٣٠٢ س ٦ « الاثنية » ص « الوثنية » = ٣٠٣ س ٤ « وهذا » ص « هذا » = ٣٢٦ س ١٥ « الدرور » ص « الدروز » = ٣٣٥ س ٢ « الابد منها » ص « منهما » = ٣٤٠ س ٢٦ « وادي المقطّب »ص «المكتّب » = ٣٥٦ س١٨ « Lavran » ص « Laveran » = ٣٩٠ س ٢٢ « المأخوذ عن » ص « المأخوذ عن كتاب » = ٣٩٣ س ٢٢ وفاة منصور كانت سنة ١٨٦٣ لا ١٧٦٣ . وكذلك وفاة زعيتر (٣٩٥ س ٢٢) كانت سنة ١٨٤٢ = ٣٩٦ س ٣ أكثر دور مشايخ الدحداح » زد عليها « في عرامون » = ٤٢٧ س ١٢ « اكرامهِ لصدورهِ » ص « لصورهِ » = ٤٣١ س ١٧ و ١٨ وقع في هذين السطرين تشويش والصواب : « أيقول احد ان الاساقفة بجلوسهم على بدلاتهم الحبريّة والتفارات يحتقرون الصليب »

قائمة للآثار الجوّيّة من ٩ الى ٢٤ تموز ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (---) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر الملمترات